صدى السنين ورجع الأنين

ديوان شعر

الأستاذ الشاعر الأديب

السيد أحمد بن علي بافقيه

قدم له وصححه

محمد بن أبي بكر بن عبد الله باذيب

٨١١,٩٥٢٢
باق

٥٢١٠

صدى السنين
وهج الأنين

□ صدى السنين ورجع الأنين
تأليف: السيد أحمد بن علي بافقيه
قدم له: محمد أبو بكر عبد الله باذيب
الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م
جميع الحقوق محفوظة باتفاق وعقد©
قياس القطع: ١٧×٢٤
الرقم المعياري الدولي: ٨-١٣٧-٢٣-٩٩٥٧-٩٧٨ :ISBN
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: ٢٠٣٢/٣/٢٠٠٩

دار الفتح للدراسات والنشر

تلفاكس ١٩٩ ٤٦ ٤٦ (٠٠٩٦٢٦)
جوال ٠٥٨ ٠٣٨ ٧٩٩ (٠٠٩٦٢)
ص.ب ١٨٣٤٧٩ عمّان ١١١١٨ الأردن
البريد الإلكتروني: info@alfathonline.com
الموقع على شبكة الإنترنت: www.alfathonline.com

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأيّ شكل من الأشكال دون إذن خطي سابق من الناشر.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing the publisher.

صدى السنين ورجع الأنين

ديوان شعر

الأستاذ الشاعر الأديب

السيد أحمد بن علي بافقيه

قدم له وصححه

محمد أبو بكر عبد الله باذيب

دار الفتح للدراسات والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

بين أيدينا ديوانٌ لأديبٍ حَضرمي مغمُورٍ، لا يعرفُه الكثيرون، أديبٌ أحبَّ الخفاء، فعاشَ في خفاء، عاش متنقّلاً في أعمالٍ وظيفية، من شرقِ البلاد الى غربها، ذاقَ مرارة الهجرة عن الأوطان، وسافر من بلده فتى يافعاً ليكدَّ ويكدح في سبيل توفير حياة طيبة له ولعائلته بعد موتِ أبيه. كان مرِحاً، خفيفَ الظل، يستلهمُ الشعرَ من الأحداث اليومية.

وديوانُه الذي بين أيدينا يلقي الضوءَ على أسلوبه الأدبي الرصين، وبلاغته، وشاعريّته المحلقة، وصوُره الأدبية المستملحة. كما يعطينا صورةً صادقة لما كان يختلج في باطنه وفكرِهِ من أحاسيسَ صادقةٍ تجاهَ القضايا المصيرية للأمةِ الإسلامية، وما يعتملُ في جوفه من حُرقةٍ وأسى جراءَ الهزائم المريرة، والنكباتِ العظيمة التي نُكبت بها أمةُ الإسلام في عصُورها المتأخرة.

حسْبُ الأستاذِ أحمد بن علي بافقيه أنه أديبٌ، وصاحبُ ذوق، ولغةٍ رصينة عالية، في زمنٍ ابتُذلَ فيه الشعرُ، وابتُذلت فيه العَربية، وأصبحْنا نعاني في حياتِنا اليومية من «العُجمة»[1]، التي أصابتنا في مقتل، بسبب انتشار الشعوبية المعاصرة، وصرنا ننطق بها مكرهين مجبرين ليل نهار، حتى اعوجت ألسنتنا، واستعجمت لهجاتنا،

---

(١) أو ما يعرف في مجتمعاتنا بمصطلح: «الكَلَجة»، وهي الأخرى ـ أي: هذه الكلمةُ بحد ذاتها ـ من نتاج الشعوبية الحديثة.

وأصبحنا ننطق اللاعربية، واللاعجمية، بل لغةً (هَجينة)، في زمنِ (الـهُجْنة) الرّسمية، والعُجمةِ المقنّنة، وأصبحَ من يتحدث الفصحى غريبا شاذا! ينظر إليه الناس باستغرابٍ وكأنه قدم من عالمٍ آخر!.

من هنا؛ نقطعُ الطريق أمامَ من يستنكرُ منّا عنايتَنا بهذا الديوان العربي الفصيح، أو بغيره من دواوين أدبائنا المتميزين سواء من أهل عَصرنا أو العصور السالفة، **فيقولُ**: وما حاجتُنا لدواوين الشعر؟ ولماذا نصرفُ الوقتَ والمال في العناية بها؟ **وأقول**: بل نحن في حاجة ماسة لهذه الدواوين، ولنشر الأدب الراقي بين صفوف شبابنا والأجيال القادمة، ليتذوقوا جمال العربية، وجمال البلاغة التي نزل بها الكتاب المبين.

ثم إني أشكر فضيلة أستاذي الأديب والمؤرخ البارع، السيد حامد بن أحمد مشهور الحداد، أحد أصدقاء الشاعر بافقيه القدامى، الذي لولا همته لإخراج هذا الديوان، وقيامه بالتواصل بيني وبين أبناء الشاعر لظلَّ هذا الشاعر وشعره في حيز الخفاء.

كما أشكر صديق عمره الحميم، الشيخ محمد بافضل، الذي لم ينسَ حقوق أخوته، ولم ينس أيام صداقته للشاعر، فاحتفظ طيلة سنوات تزيد على الثلاثين عاما بنُسخٍ من قصائد الشاعر، وجُذاذات متفرقة بخطه كانت تقع في يده فيجمعها خوفا عليها من الضياع، حتى تكون لديه أرشيفٌ لشعر صديقه الشاعر، فقدمه لنا لينشر.

إن هذا «الديوان» لم يحو كل ما نظمه شاعرنا بافقيه، بل قد ضاع الكثير والكثير من شعره، والموجود قد لا يمثل إلا نصف الديوان أو أقل من ذلك، حسبما يصرح أصدقاؤه وعارفوه، وعزاؤنا ما بقي وحُفِظَ عما ضاع وفُقِد.

هذا، وقد صُحِّح الديوان بمعرفتي، وقمتُ بمقابلة القصائد من «الكراس القديم» الذي خطه الشاعر بقلمه، وما وجدته مفرقا لدى أبنائه ولدى صديقه الشيخ محمد بافضل.

وهاهنا ... أدعُ القارئَ الكريم يتابعُ ما كتبه بطلبي أستاذنا وشيخنا العلامة السيد عمر بن حامد الجيلاني حفظه الله وهي كلمةٌ من فَيض ذكرياتٍ عاطرَةٍ مرَّت له بصحبة شاعرنا الجليل، فكلمةُ أستاذنا أبي طارق، الشيخ محمد بن أحمد بافضل، ليحدثنا عن مسيرة عمرٍه برفقة صديقه بافقيه، وعن العلاقة الحميمة التي ربطت بينهما، و وبعدها يطالعُنا ما كتبه الشاعرُ عن نفسِه، ونقرأ بعدها مقدِّمته الرائعة حولَ الشعر العربي وفاعليّته في المجتمَعاتِ وأثرِه على النفُوس، والحمد لله أولاً وآخراً.

وكتبــه
محمد أبو بكـر بـاذيـب

جدة، ظهر الأحد ٥ ربيع الثاني ١٤٣٠هـ

مِنْ فَيضِ الذِّكْرَياتِ المكِّية

بصحبة السيدِ أحمد بن علي بافقيه

بقلم
السيد عمر بن حامد الجيلاني

الحمد لله والصلاة والسلام على خَير خلقِ الله ومصطفاهم، وآله وصحبه ومن والاه ووالاهم.

وبعدُ؛

فإن مخزوناتِ ذاكرةِ الإنسَان مهما تنوعت صنوفُها وتعددتْ أشكالُها، ومهما جلت أو دقّت في تفاصيلها، فإن مستودعاتِ الذاكرة تتسعُ لها وتستوعبها، ويقبع بعضها في الزوايا فلا يحضُر إلا عندما تستجلبه الدواعي، وقد لا يستقر فيطمَسُ ويفقد.

ولبعضِ الناس في الذاكرةِ مكانٌ لا يعدُو عليه عادٍ، ولا يطمسُه تقادُم العهود وكرُّ الأيام، ومن هؤلاء شاعرُنا المطبوع الأسْتاذ الأديبُ النابه، السيدُ أحمد بن علي بافقيه، الذي دخل القلبَ فلم يغادرْه، وبقيتْ ذكرياتُه ماثلةً.

كان أولَ ما لقيته وأنا في أول العقْدِ الثاني من العمر، في زيارة باراس، الموسمُ

التجاريُّ والشعري الذي يعقَد كلَّ عام على مشارفِ الوادي الأيسر من دوعن، ولفت انتباهي حديثه عن شعراء البادية في هذا السوق، ومطارحاتهم ومراميهم في أشعارهم التي يرتجلونها.

وبعدَ ذلك بسنَواتٍ، تم اللقاءُ وتوطدَت أواصر المحبةِ والوُدِّ في رحابِ بيت الله الحرام في مكة المكرمة، فقد كان اللقاء بيننا يكاد يكون كل ليلة منصرفَ طلبةِ العلم قُبيلَ صلاةِ العشاء من حلقاتِ الدروس التي تُعقَد في المسجد الحرام. وكنا نتجاذب أطرافَ الحديث قُبيل الصلاة، مفترشين حصوةَ بابِ السلام، ونحن نمتع الأنظارَ بمشاهدةِ الكعبة المعظمة، في جو يقصُر التعبير عن وصْفِ سويعاته الجميلة، مع مجموعةٍ متجانسة في فكرها ورُؤاها. أذكر منهم: السيد عليَّ بن عمر الحداد، والأستاذ محمد بافضل، والأستاذ محمد بن أحمد مشهور الحداد.

كان الحديثُ متنوعا في الأدب، والعلم الشرعي، وما يجدُّ في حياة الناس، وكان ذا شجُون، ولا يخلو من تعليق ذكيٍّ، ونقدٍ هادف، وملاحظَ ينتفع بها الحضور، ونكاتٍ وطرائف وفوائد، انتظمت معها حباتُ القلوبِ في سُبحةٍ ثمينة من الإخاء الصادق والمودة. وتمت لقاءاتٌ ولقاءات .. سُداها ولحمتُها الأدبُ الرفيع منطوقاً: شعراً ونثراً، وسلوكاً: تعاملاً وتخاطباً، ويزيد اللقاءاتِ جمالا وبهاءً تشريفُ بعضِ كبار مشايخنا لها.

وكانت تلك الليلةُ الخالدة التي كان بدرُها المنير الحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف في قدمته الأخيرة إلى الحرمين الشريفين، بمنزل الأستاذ أحمد بافقيه في حي الزاهر. استرسل في حديثه الحبيبُ عبدالقادر بمنطقه العذب الزلال، عن الأدب في عهد ملوك الطوائف بالأندلس، وحظي المعتمد ابن عباد صاحب إشبيلية وفترة حكمه بالنصيب الأوفى، وأسهب في الحديث عن الأدباء الذين أحاطوا بالمعتمد،

وعن روائعهم الأدبية، وعن شعر المعتمد الذي يفيض رقة وعذوبة، ثم خلص إلى نهايته المؤلمة بسقوط مملكته ووقوعه في الأسر، وأنشد أبياته التي قالها في شموخ وهو في ظلمة السجن وذل الأسر:

لما تماسكتِ الدُموعُ ... ونهنَهَ القلبُ الصَّريعُ
قَالوا الخضُوعُ سِياسةٌ ... فليَبدُ منكَ لهُمْ خضُوعُ
وألذُّ من طَعْمِ الخضُوعِ ... علَى فمِي السُّمُّ النقيعُ
إن تَستلِبْ عنِّي الدُّنَا ... مُلكي وسلَّمني الجموعُ
فالقَلبُ بين ضُلوعِه ... لم تُسْلمِ القلبَ الضلوعُ

وأعقبها بالأبيات التي أوصى المعتمد أن تكتب على قبره:

قبرَ الغريبِ سقاكَ الرائحُ الغَادي ... حقًّا ظِفرتَ بأشْلاء ابنِ عبّادِ
نعَمْ هوَ الحقُّ حابَاني به قَدرٌ ... مِنَ السَّماء فَوافَاني بميعَادِ
ولم أكُن قَبْلَ ذاكَ النعشِ أعلَمُه ... أنّ الجبَالَ تَهادَى بينَ أعْوادِ
كفَاكَ فارفُقْ بما استُودِعْتَ من كَرمٍ ... روَّاكَ كلُّ قطُوبِ البَرقِ رعَّادِ

وأنهى كلامه عن المعتمد بما قيل فيه من مدائح ومراثي، فما أحلى تلك الليالي العلمية الأدبية في الرحاب المكية.

عندما تدير الأستاذ محمد بن أحمد بافضل مدينة جدة، تواعدت مع الأستاذ بافقيه لزيارته، واختلفنا في الميعاد، وذهب إليه وحده، وأرسل في اليوم الثاني أبياتا يعتذر فيها ويقول:

بالأمسِ كنتُم وكنّا ... والجوّ غُمَّ علينا

فكتبتُ على ظهر الورقة أبياتا منها:

ذهبنَا نبحثُ عَنكُم ... وللشوارعِ جُبنَا
نسائل النَاسَ عنكُم ... أين الأحبةُ أينَا؟
وبعدَ جهدٍ جَهيدٍ ... وبعدَ أن صِرتُ مضنَى
ولم نجدْ غَير بُدٍّ ... من التخلُّفِ عُدْنا
أنتم ظفِرتُم بفَضْلٍ ... وطَائرُ اليُمْنِ غنَّى

لحق الأستاذ بافقيه بصديقه الشيخ بافضل إلى جدة وأقام بها، وكنا نزوره مع بعض الإخوان، ولسان حالنا وقالنا ينشد:

وكنت إذا ما جئت صحبي أزورهم ... أرى الأرض تطوى لي ويدنو بعيدها

وفي إحدى قدَمات سيدِي الوالد إلى الحرَمين الشريفين، استضافَه الأستاذُ أحمد بافقيه في بيته بجُدّة، وجمعَ بينهما وبين صديقِه القديم العالم النقّاد النظّار السيد حامدِ بن أبي بكر المحضار، ورافق السيد المحضار ضيفه العالم الفقيه المفتي السيد أحمد بن محمد زبارة، وكان ذلك قبل الوحدة اليمنية بسنوات، فقال السيد حامد المحضار بحسه السياسي: التقى في هذا اليوم الشطران، فهذا مفتي الشمال، وهذا مفتي الجنوب. وكانت جلسة فقهية أدبية تاريخية تكتب بماء الذهب وقائعها.

شِعرُ الأستاذِ بافقيه:

لا أجِدُني قادراً على الحديث عن شعره والقيام بدراسته، فلست من أهل هذا الميدان، وإن كنت من المعجبين به، إلا أن المؤلم أن كثيرا من أشعاره قد فقدت.

وأذكر أنه أطلعني في بيته بمكة المكرمة على مسرحية له عن رحلة مركبة الفضاء (أبوللو) في رحلتها إلى القمر، وأذكر منها:

أمر عظيم لا يصدق لكنـــه أمـــر محقـــق

هل ترى نصبح جيران النجوم النيرات

وإليها نركب الآفـاق ونبنـي الطرقـات

وعلى أبراجهـا العليـا نقـيم الحفـلات!

كان آخر لقاء معه قبيل وفاته وقد أضناه المرض، لكن ظُرْفه وابتسامته لم يفارقانه، رحمه الله رحمة واسعة، وأمطر على جدثه شآبيب الرحمة والرضوان.

مكة المكرمة

٣/ ٤/ ١٤٣٠هـ

قاله وكتبه

عمر بن حامد بن عبد الهادي الجيلاني

أنا ورفيقُ العمرِ

الأديبُ الشاعر السيدُ أحمد بن علي بافقيه

رحمه الله رحمة واسعة

بقلم صديقه

الشيخ محمد بن أحمد بافضل (أبو طارق)

في عام ١٣٧٢هـ قدمتُ إلى المملكة العربية السعودية، وعملتُ لدَى أحَد التجّار بمكة، وبدأت أعيشُ وسطَ غربةٍ كاملة، فلا أهلَ ولا قريبَ ولا صديق، كنت أعيشُ ليلاً في غرفة وَحيداً، ولا يوجدُ شيء من وسَائل الإعلام أو الراحة إطلاقاً، ومرّتْ حوالي ستةُ أشهر والهموم تلفني من كل جانب، لم يكن يخففها إلا سويعاتٌ أقضيها بعد المغرب حولَ حلقاتِ الدروس، والطوافِ بالبيت الحرام، حتى جمعتني صدفةٌ بالسيد أحمد.

كان هو يعيش مع رفقةٍ لا يجمعهم بها لا فكرٌ ولا علم، وكان يعيش في نفسِ الجوّ الذي غرقتُ فيه، لقيتُه أولَ مرةٍ، ولأولِ وَهلة أحسَستُ بشيء يشدني إليه، كما شعرَ هو، وتعارفنا بسرعة لا يمكن تصورها، وقد قالت العربُ قديماً: «ربّ أخٍ لكَ لم تلده أمك»، وما أجملَ هذا الأخَ إذا رزقك الله به في غُربة الأهل والوطن والفكر، فيجلّي الوحدةَ وينعشُ النفسَ والفكر، ويجدّد الدماء في العروق.

وهذا ما كان من صُحبتي مع رفيق الدرب السيد أحمد بافقيه!. فكلما اقتربنا؛ زاد شعورُنا بأن كلينا نعمةٌ من الله للآخر، يمدّني بالعون والتقوى، فقد كانَ نِعمَ الأخُ في الضراء قبل السراء. لقد كنا منسجمَين في التفكير والرؤى والأحلام وبُعد النظر، واستمرّت الاتصالات كلَّ ليلة، حتى أنه أحياناً يترك عمله نهاراً ويجيء إليَّ لدقائق.

وتسألني: كيفَ رأيتَ الرجل بعدَ كلِّ هذا التعارف العجيب والأخوّة الصادقة التي استمرت حوالي الخمسين عاماً بدون أي تعكير في صفو العلاقة؟. لقد كان السيد أحمد علي بافقيه رجلاً نموذجياً بكل ما في الكلمة من معنى، يتمتع بذكاءٍ خارق، وبُعدِ نظرٍ متميز، ومواهب أدبية وشعريةٍ يعجز يَراعي عن وصفها، رجُل فكر وكلمة، بنى نفسَه بنفسه، وعلّم نفسَه بنفسه، يتدفق الشعر من فمه كما يتدفق الشلاّل بالماء العذب الزلال.

ومن نِعَم الله عليّ أنه كان معي حتى اللحظات الأخيرة من حياته، صافيَ الفكر، لا يعرف المجاملة ولا المداهنة، صريحاً في بساطة، ويُرى في أحاديثه مع أيٍّ كان واضحاً غاية الوضوح

سمع مرةً بقدوم الشيخ محمد محمود الصوّاف إلى جدة، هارباً من حاكم العراق، فقال لي: يجب أن ننزلَ ونتحدث إليه، ونعرضَ خدَماتنا المتواضعة عليه. كنتُ أراقبه وهو يتحدث إلى هذا العالِم الجليل، كأنه يتحدث إلى صديقٍ يعرفه من زمن، وأسهبَ في الحديث عن السياسة ومستقبلِ الأمة العربية، لغايةِ أنّ الشيخ الصواف تعجبَ غايةَ العجب من هذه الروح العربية الصادقة، وقال له: نحنُ موظفون صغار، ولكنّنا نستطيع أن نَمُدّ العون بكل ما نملك. فشكره وأكبره، وقام يودّعه إلى خارج المجلس.

ومرّت الأيامُ الجميلة ونحنُ في جوّ مشرق، ونسينا تلك الأيام السودَ التي مرّت علينا، حتى تحوّل عمله إلى الدمام، فشَعر كلانا بعَناء الفراق، كان يكتبُ لي رسالةً يوماً بعد يوم، ويشرح فيها خواطرَه وهمومه، وكان يناقشُ بعضَ الأمور في إسهابٍ عجيب، وقد تمتدّ الرسالةُ إلى سبع صفحات، مع سعةِ إطلاعٍ على كل ما يجري في العالم. كتب لي مرةً: «أما قرأتَ الرسالةَ التي وجهها السيد صَبري العسلي إلى الرئيس عبد الناصر، يشرح له الأوضاعَ المتردية التي حلّت بدولة الوحدةِ؟»، قلت: «لم أسمَع بها». فإذا به يُرسل لي صورة منها، تتألف من حوالي ١٢ صفحة.

ومرّت الأيامُ؛ حتى عاد إلى مكة، واستأنفنا سيرتَنا الأولى، وعشْنا في ربوع مكة المكرمة أياماً جميلة، ومن حُسنِ الصُدَف: أن الشيخَ عمرَ الخطيب كان في مكة، وينزل ضيفاً علي، فكانت تجمعُنا نحن الثلاثةَ لقاءاتٍ، طفنا خلالها بكلّ عَوالم الشعر والأدب، والفقه والسّيَر، وفجأةً تحوّل عملي من مكة إلى جدة. وأسِفْنا حُزناً على تلك الاجتماعات المثمرة المفيدة، والتي ربما لن تعود مرة أخرى.

و قد سجل السيد أحمد بافقيه مترجِماً أحزانه في قصيدة عصماء مطلعها:

بافَضلُ بعـدُكَ بُعـدُ ... فهَـلْ لنَـا منْـهُ بـدُّ
و في المجَالسِ نَقصٌ ... وفي الجوانح وَجْـدُ

حتى قال في آخر القصيدة:

أما أنا سَـوفَ أبـقَـى ... عـن الحـمَى لا أُصَـدُّ
لـن أبـرحَ البيتَ حـتَّى ... يـضـمَّـني فـيـه لـحْـدُ

رحمه الله رحمة واسعة.

ومرت الأيامُ؛ وإذا به يتحوّل عمله من مكة إلى جدة، وعشنا أياماً سعيدةً مليئةً بالذكريات، ونظَم عشراتِ القصائدِ التي نتجتْ بها قريحته الوقّادة، سواءً في المناسبات، أو حولَ أفكاره، وما أكثرها! وسيجد القارئُ ديوانَه زاخراً بنماذج فريدة، ومن العجيبِ؛ أنه يجيدُ النثرَ كما يجيد الشعر، ثم اشتدت عليه وطأةُ المرض، وكنتُ أزورُه في المستشفى كلّ يومٍ وهو لا يفتر، من الدعاء والاستغفار والتسبيح، رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جنّاته، بكَت لفراقه العيون، وجفّت الكلمات على الألسن، ولكن تَبقى الذكرى والدعاء، واليقينُ بالله بأن يجمَعنا به في جنّات النعيم، إنّا لله وإنّا إليه راجعون، والحمد لله ربِّ العالمين.

جدة في ٢٠ ذي القعدة ١٤٢٩هـ.

حياة الشاعر

لقد أحسن الشاعر جدا حينما كتب سطورا عن حياته بقلمه، وعبّر عن أهم مجريات حياته بأسلوب أدبي راقٍ، في إيجاز واختصار غير مخل، لكن من حق الشاعر علينا، أن نذكر ما لم يذكره وتركه من باب الاختصار، وما هو من أركان الترجمة التاريخية بالمفهوم التاريخي لا الأدبي.

فنذكر أولا نسبه الكريم:

فهو السيد أحمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن أحمد (توفي بالقرين) بن زين (توفي بالخريبة) بن علي بن زين بن علي بن حسين[1] بن عبد الله بن محمد (ت ١٠٠٧هـ) بن علي بن أحمد (باقيليد) بن عبد الله بافقيه (الأعين النساخ) بن محمد (مولى عيديد؛ ت ٨٦٢هـ) بن علي (صاحب الحوطة؛ ت ٨٣٠هـ) بن محمد بن عبد الله بن الفقيه أحمد (ت ٧٢٠هـ) بن عبد الرحمن بن علوي (عم الفقيه المقدم) بن محمد (صاحب مرباط؛ ت ٥٥٦هـ) بن علي (خالع قسم؛ ت ٥٢٩هـ) بن علوي (ت ٥٢١هـ) بن محمد بن علوي بن عبيد الله بن السيد المهاجر أحمد (ت ٣٤٥هـ) بن عيسى النقيب بن محمد الرومي بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن

---

(١) في حسين هذا؛ يجتمع الشاعر مع أستاذنا الكبير السيد أحمد بن عمر بافقيه (ت ١٤٢٦هـ) رحمه الله، راجع كتابنا: «السيد أحمد بن عمر بافقيه، من رواد الصحافة العربية في القرن العشرين»: ص٧٣، وما بعدها.

علي زين العابدين بن الحسين الشهيد السبط بن أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين علي، وابن فاطمة الزهراء بنت سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم.

ثانيا؛ ترجمةُ حياةِ الشاعر بقَلمه:

«من حقِّ القارئ الكريم العلمُ ولو بقدرٍ يسير عن حياةِ صاحبِ الأثر الذي يقرأ، ويتعرف على ملامحَ من شخصيته ونشأته، ولذا أجدُ نفسي مطالَباً برَسْم بعضِ الخطوط التي تعطي القارئ فكرةً عابرة موجزة عن مسيرة حياتي .

إنني من مواليد عام ١٣٤٣ هـ، ومن وادي دوعن بحضرموت، وقريةِ (القِرَين) بالذات، ففيها وُلدت وبينَ أحضانها ترعرعتُ، وخلالَ طرقاتها وسفوح جبالها قضَيتُ أول أيام حياتي. وفي السنة الرابعة عشر من عمُري ختمتُ قراءةَ القرآن العظيم في أحد كتاتيب القرية، وبحُكم ظروفي وبيئتي كنتُ أتردّد على غرفة (مسجد القُبة)، التي هي عبارةٌ عن معهدٍ علمي ديني أسّسه السادة الأفاضل آل البار بالقرية، وأستمعُ إلى بعض الدروس الدينية التي تُلقَى على الطريقة القديمة.

ولم أبلغِ الخامسةَ عشر من عمري حتى اصطحبني والدي معه في سفره إلى خارج حضرموت، كما يفعل كلُّ الحضارم حيثُ يضربون في الأرض، ويهاجرون إلى شتى البقاع، سعياً وراءَ الرزق، باحثين عما يُقِيت أسرَهم وأبناءَهم، ويوفر لهم ما يحتاجون إليه من تكاليفِ الحياة، وكانت هجرتُه هذه المرةَ أولاً إلى (مقاديشو) بصَوماليا، ثم الحبشة، ثم (أديس أبابا) بالذات، وكان أبي في تلك الفترة يرعاني، ويعطيني بعضَ الدروس في الفقه والنحو، كما أحضرَ لي مجموعةً من كتُب الأدب والشعر لمطالعتها.

وعندما اندلعت نارُ (الحرب العالمية الثانية) عُدنا هاربين مع مجموعةٍ من

الحضارم إلى أرض الوطن، وكنتُ آنذاكَ قد بلغتُ السابعة عشر من عمري، وبعد أقلِّ من سنةٍ عاد والدي إلى الحبشة، وتركَني بحضرموت، وفي هذه الأثناءِ وصلَ إلى البلاد ابنُها الغائب، الأديبُ الشاعر حسين بن محمد البار، وكان مسافراً في جبوتي ثم عدن حيث درس هناك ثم أصبح أستاذاً.

وبعد عودته بفترةٍ بسيطة، افتتح درساً في منزله بفترة ما بعد الظهر مجاناً، وانتظمت في حلقة هذا الدرس مع مجموعة صغيرة من أبناء القرية، لا تزيدُ عن ستة أفراد، وكانت الدروسُ في الفقه والنحو، وشيءٍ من كتُب الأدب، وعَلى الطريقة الحديثة.

وكنا نستفيد مما يدورُ من الأستاذِ البار وبينَ بعض رفقائه وزائريه من الأدباء، من نقاشٍ، وأذكر منهم: الأستاذَ جعفر بن علوي المحضار، الذي يأتي من (القويرة) المجاورة لقريتنا أحياناً، وفضيلة العلامة المطلّع السيد طاهر بن علوي الحداد[1]، الذي كان يتردد على قريتنا، من سكان (قيدون)، وكان يقضي الشهرين والثلاثة بين ظهرانينا، وبدأنا نأخذُ عن العلامة الحداد بعضَ الدروس أيضاً. ولسُوءِ حظنا؛ فإن هذه الحالة لم تدم أكثرَ من سنتين حيث تفرقَ الشمل، وذهبَ كلٌّ في سبيله.

وفي أثناء هذه الفترة دهمتنا مصيبة وفاة الوالد رحمه الله، شهيدَ الغربة والكفاح في سبيلنا، وكانت بـ(أرتريا) وفي قرية (عدقّيح) التي تبعد عن مدينة (أسمرة) حوالي سبعين كيلومترا. فكانت وفاته صدمةً عنيفة، وسبباً مباشراً في تغيير مجرى حياتي كليةً، الأمرُ الذي دفعني إلى السفر والاغتراب، لأحُلَّ محل ربِّ الأسرة المكونة من خمسة أشخاص.

---

(١) أفاد السيد حامد مشهور الحداد: أن للشاعر بافقيه قصيدة في توديع أستاذه السيد طاهر بن علوي الحداد عند رحيله من وادي دوعن، ولكنها فقدت فيما فقد من شعر بافقيه.

وكان اتجاهي إلى الحبشة بـ(أديس أبابا)، حيث كان يقيم بعضُ أعمامي وأقاربنا هناك، وبمساعدة المجموعة، وبما وجدتُه مما خلّفه الوالد على قِلّته، افتتحت محلاً صغيراً للبيع والشراء، وكانت النتيجةُ ـ بعد سنةٍ ـ فشلاً ذريعاً، فقررتُ السفر إلى مدينة (أسمرة)، حيث يوجد هناك عمّي الأكبر[١] وبعضُ الأقارب والمعارف. والتحقت بوظيفةٍ عند أحد التجّار العرب هناك.

وصادفَ أنه افتُتح بـ(أسمرة) آنذاك: (النادي الثقافي العربي)، افتتحَه بعضُ شباب حضرموت الموجودين هناك[٢]، مع بعض شبابِ البلاد العربية الأخرى، والتفّ حوله عشاقُ الثقافة والأدب. وكنت أحدَ أعضائه، وكانت تلقَى فيه المحاضراتُ والمناظرات الأدبية والتاريخية، وتعقد الندوات، الأمرَ الذي أتاح لنا أن نستفيد أدبياً، وأن نجدَ مجالاً لقراءة الكتب والمجلات، وعلى رأسها «مجلة الرسالة» المصرية، التي كان يصدرها الأديب العالم أحمد حسن الزيات بالقاهرة، وكان يكتب فيها فحولُ الأدباء من شتى أنحاء العالم العربي.

وبعد مضيِّ خمس سنوات بأسمرة، عدتُ أدراجي إلى حضرموت، تحدوني أشواقٌ عارمة، وحنينٌ لم ينقطع إلى أهلي وبلدي، ورُغمَ أني لا أملك إلا القليلَ القليل، وهناكَ عقدت قراني على بنت عمي، ودخلت القفصَ.

* وكانَ ما كان مما لست أذكره[٣] *

---

(١) للشاعر أربعة من الأعمام: محمد، وعبدالرحمن، وزين، وحامد. وذراريهم متوزعة بين حضرموت، والحبشة، والسعودية.

(٢) تراجع مذكرات السيد محسن بن علوي السقاف: ص١٥٩ وما بعدها.

(٣) شطر بيت لابن المعتز، وتمامه: «فظُنَّ خيراً ولا تسألْ عن الخبرِ».

وتضاعفت التبعات، وزادت المسئوليات، فغادرتُ حضرموت. وكان اتجاهي هذه المرة إلى البلد العربي الكريم، المملكة العربية السعودية، حيث عملتُ موظفاً تجارياً متنقلاً بين مناطقها الغربية والوسطى والشرقية، ثم استقرّ بي المقام بالمنطقة الغربية، وفي مكة المكرمة بالذات وجدة. وكانت عائلتي التي جلبتُها[١] من حضرموت إلى جواري، ورُزِقتُ بها البنين والبنات داخل المملكة ولا زلتُ حتى كتابة هذه السطور»، انتهى.

هذا ما كتبه السيد أحمد بافقيه عن حياته، وقد كانت وفاته وانتقاله إلى الدار الآخرة في مدينة جدة، في شهر صفر سنة ١٤٠٨هـ، رحمه الله تعالى وغفر له. وأعقب من الأولاد: علي، وحسن، وأربع بنات[٢].

❊ ❊ ❊

(١) كان ذلك سنة ١٣٧٥هـ.

(٢) أخذنا هذه المعلومات من ابنه حسن، ومن صديقه الشيخ محمد بافضل (أبو طارق).

رثـاءُ الشاعر

شعر/ السيد عمر بن حامد الجيلاني

قيلتْ في رثاء المأسوف على فراقه، السيد الأديب أحمد بن علي بافقيه، رحمه الله، بتاريخ: ١٦/ ٢/ ١٤٠٨هـ:

أعِـرْني بيـانَـــك ربَّ النظيـــمْ ... وهبنـي يـراعَ القـدير الأديـبْ
كُلمْنَـا بفقـدكَ يـا ابـنَ عـليٍّ ... ورُزؤكَ أحـدثَ جُرحـاً رهيـبْ
وكـدّر صـفواً ونكّـد عيـشاً ... وأضـحَى الفـؤادُ حزينـاً كئيـبْ
بفقـدكَ عـمَّ الأسَـى في النفـوسِ ... وضاقَ الفضاءُ الوسيعُ الرحيـبْ
ولِـمْ لا وأنـتَ الـصديقُ الحميم ... وأنـتَ إلى كـلِّ قلـبٍ قريـبْ
فمـن للقـصَائد يـشْدو بهـا ... ومـن للمـدائحِ مـن للنّـسيبْ؟
لقـد كنـتَ تنظمُهـا في عقـودٍ ... مرصـعةً بالبيـانِ العجيـبْ
وتلبِـسُها حلـةً تزدهـي ... بهـا في المحافـل تَـسبي اللبيـبْ
خرائـدُ يـشهَدُها المعجبـون ... بـشعرك تلـبسُ ثوبـاً قـشيبْ
تُقـدِّمها للمقـامِ الرفيـعِ ... مقـامِ الـشفيعِ النبـيِّ الحبيـبْ
مـضيتَ أبـا حـسنٍ راضـياً ... إلى الله تـسعَى بقلـبٍ منيـبْ
تركـتَ الـدُّنا، والـدُّنا للفنـاءِ ... سـتغدو ترابـاً مهـيلاً كثيـبْ

وكـــلُّ الخلائـــقِ ســـائرة ... بـدربِ المـماتِ شـباباً وشـيبْ
ولا يـدرأ المـوت مـالُ عظـيمٍ ... ولـيس لـرد الحـمام طبيـبْ
إذا نفـد العُمـر حُـمَّ القـضاءُ ... تَعـالى مـنَ الأقـربينَ النحيـبْ
ولكنَّنـا في الهـوَى سَـادرونَ ... وفي الغيِّ، هـذا لعمـري غريـبْ!
كَـأنْ لا جَـزاءَ بـدارِ الخلـودِ ... كَـأن لا عَتيـد هُنَـا أو رَقيـبْ
سَـيجمَعُنا الله يـومَ الجـزاء ... يكُـونُ الخبـير السميعُ الحسيبْ
فطُـوبَى لمـن قـدَّم الـصالحاتِ ... فعينـاً تقَـرُّ ونفـساً تطيـبْ
أبـا حـسنٍ أنـت مـلءَ القلُـوبِ ... وذكـراك مـن بيننـا لَـنْ تغيـبْ

❊ ❊ ❊

كَلمةٌ عن الشِّعْر العَربي

يقولون: «الشعر ديوان العرب»، وإنه لكذلك، فالعرب أمة تهوى الأدب، وتعشق البيان، وتتذوق البلاغة، فكان من تمجيدها لفنِّ الشعر، وسمُوِّ منزلتِه لدَيها: أن اختارت بعضاً من غُرَر قصائدِ شُعَرائها، وعلّقتها على أستارِ الكعبة المشرفة، وسُمّيت بـ«المعلقات». وكانت عندهم للأدب مواسمُ تعقَدُ في بعض البلاد العربية، ويتوافد إليها كبار خُطَبائهم، وأفذاذ شعرائهم، فيخطبون وينشدون الأشعار، ويتبارون، ويتحاكمون: أيهم أبلغ وأحكم، وأيهم أقوى بياناً، وأرق أسلوباً، وأنصع ديباجة. كان هذا قبلَ أن يشرِّفَهم الله بنعمة الإسلام.

وأقبل الإسلامُ بقرآنه العظيم، ومبادئه السامية، ومثُله العليا، ورسالته الخالدة، فهذّب من طباع هذه الأمة، وقوَّم المعوجَّ منها، كما أقرَّ الكثيرَ من أخلاقها، وبارك ما اتصفت به من الخلال الحميدة، وما تحلّت به من مكارمِ الأخلاق، كما أيَّد ولعَهم بالبلاغة والفصاحة، والجيد من القول ومعاني الشعر الرفيع، فأنشِدت الأشعارُ بين يدي رسول الله ﷺ، وتبارى شعراءُ المسلمين والمشركين بحضرته، كما استمع مراتٍ إلى شعراءَ مسلمين، وطرب لأشعارهم، وأجازهم عليها، وفي الحديث الشريف: «إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا».

واستُشفِعَ بالشعرِ لدَى الخليفة الثاني، عمر بن الخطاب، حيث أرسل الشاعرُ الحطَيئةُ وهو في السِّجن قصيدتَه التي جاءَ فيها:

مـاذا تقـولُ لأفْـراخٍ بـذِي مَـرَخٍ زُغْبِ الحواصِلِ لا ماءٌ ولا شجَرُ
ألقيـتَ كاسِبَهـم في قَعـرِ مظلمَةٍ فاغفِر؛ عليكَ سَلامُ الله يـا عُمَـرُ

فما كان من الخليفة إلا أن أطلق سراحَه. ونُسب إلى الإمام علي بن أبي طالب الكثيرُ من الأشعار.

وظلَّ الشعرُ متحفظاً بمنزلته، متربعاً على عرشه، إلا أنه خفّت حِدّته بعضَ الشيء، وقلَّ مفعولُه نوعاً ما بعد ظهور الإسلام، فلم يعُد بيتٌ من الشعر قديراً على أن يحطَّ من شرَفِ قبيلةٍ، أو يرفعَ من شأنِ أخرى، كما كانَ في العصر الجاهلي، وكما فعل بيت من الشعر بقبيلة نمير:

فَغُضَّ الطرْفَ إنّكَ من نُمَيرٍ فَلا كَعباً بلغْـتَ ولا كِلابَـا

أو القولُ في قبيلةِ بني أنفِ الناقة:

قَومٌ همُ الأنفُ والأذنابُ غيرُهم ومن يُسَوّي بأنـفِ الناقَةِ الـذّنَبا

وهو وإن بقيَ للشعراء سلطانُه مجاله المميز، إلا أن الأمورَ أصبحت تُقاس بمقاييس الإسلام، وأصبح شرفُ الإنسان ومكانةُ القبيلة تخضع لتعاليمه العادلة، ونظرته المنصفة، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾.

ومع ذلك؛ فقد استمرَّ الشعرُ يغشَى مجالسَ الخلفاء والملوك في العصرين: الأموي والعباسي، ويتردّدُ عليهم الشعراءُ فينشدونَ ويمدحون، ويتبارون وينالون الجوائز والعطايا لقاء مديحهم، أو تقديراً لجودة إنتاجهم، ويتنافسون ويهجو بعضهم بعضاً، كما قال أحدهم يهجوا الفرزدق:

زعمَ الفرزدقُ أن سيقتلُ مربعاً أبشِرْ بطولِ سلامـةٍ يـا مـربَعُ

وربما لفظ بعضُهم الشعرَ في مناسبة مّا، فأثار غضبَ بعضِ الحكام، وعرَّض نفسَه للعقوبة، كما حدثَ للشاعر الفرزدق عندما تحدّى الخليفةَ الأمويَّ في الحرم المكي الشريف، أثناءَ طوافِ الإمام عليِّ زينِ العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، عندما انشقَّت صفوفُ الحجيج في رحَاب الكعبة المعظمة، لتفسح الطريقَ أمام علي ابن الحسين لكي يطوف بالبيت، فقال الخليفةُ الأمويُّ: «من هذا؟»، وهو يعرفه حقَّ المعرفة، فما كان من الفرزدق إلا أنه ابتدر قائلاً:

هذا الذي تعرفُ البطحاءُ وطأتَه ... والبيتُ يعرفُه والحلُّ والحرَمُ
هذا ابنُ خيرِ عبادِ الله كلِّهمِ ... هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العلَمُ
هذا ابنُ فاطمةٍ إن كنت جاهلُه ... بجدِّه أنبياءُ الله قد خُتِموا
فليسَ قولُك: «من هذا؟» بِضَائرِه ... العُرْب تعرفُ من أنكرتَ والعجمُ

وكان العصر العباسيُّ أزهَى عصورِ الشعر العربي، حيث ازدهرت فيه الآدابُ، واصطبغت الحياة العربية عموماً بألوان من الترَف والنعيم، ففعلت فعلَها في النفوس والأذواق والمفاهيم، فانعكست جراءَها رقةً وسلاسةً وعذوبةً على فنِّ الشعر، وهذا الشاعرُ البدويُّ عليُّ ابن الجهمِ، الذي دخلَ على الخليفة العباسي وهو ما زال متأثراً بحياةِ البادية فقال يمدحُه في قصيدة مطلعها:

أنت كالكلبِ في حِفاظكَ للوُدِّ ... وكالتيسِ في قِراع الخطُوبِ

فقال الخليفة: «أسكنوه بحي الرَّصافة» ببغداد، وأغدقوا عليه، ففعلوا، ثم أدخلوه على الخليفة بعد عام، فقال:

عيونُ المهَا بين الرَّصَافة والجسْرِ ... جَلبنَ الهوَى من حيثُ أدرِي ولا أدري

أعـدن لي الشـوق القـديـم ولـم أكُـن سَلوتُ ولكن زدنَ جـمـراً على جَـمـرِ
خـليليَّ مـا أحـلَـى الـهــوى وأمــرَّه وأعـرَفـني بالحلـوِ مـنــهُ وبــالـمــرِّ

فقال الخليفةُ معلقاً: «أردْنا لهُ أن يرِقَّ فذابَ!».

وظهر على المسرح أبو نُواسٍ، وبشَّار بن برد، وعباسُ بن الأحنف، وأقبل بعدهم مجموعةٌ أخرى أغنتِ الشعر العربي، وحلّقت ما شاءَ لها الخيال، فبرز الشريفُ الرضيُّ، وأبو العلاء المعرِّي، وأبو فِراس، والبحتَري، وأبو تمام، غيرهم.

وجاء قبلَهم شاعرُ العربية الأكبرُ: أحمد بن الحسين (المتنبي)، فهزَّ الحواضرَ والبوادي، وشغل الناس والدنيا بشوارده وروائعه، وتسابق معاصروه إلى سماع أشعارِه وتقصيها، ونقدها، أو الإعجاب بها، والاختلاف عليها، حتى قال أبوالطَّيب نفسُه:

أنام ملءَ جُفوني عن شوارِدِها ويسهرُ الخلقُ جـرَّاهَا ويختصِمُ

وقال:

وما الدهرُ إلا مـن رواةِ قصَـائدي إذا قلتُ شعراً أصبحَ الدهرُ منشِدا
فسَــار بــه مـن لا يسيـرُ مشمِّـراً وغنَّـى بــه مــن لا يغنِّـي مفـرِّدا
أجِزني إذا أنشـدتَ شعـراً فـإنمـا بشِعـري أتـاكَ الـمادحُـون مـردَّدا
ودعْ كـلَّ قـولٍ غيـر قَـولي فـإنّني أنا الطائرُ المحكيُّ والآخرُ الصدَى

وإلى جانب هذا؛ فالشعرُ عندَهم كان بمثابةِ الصَّحافة في عَصرِنا الحاضرِ، بهِ يعبرون عن أحاسيسهم، ويضمّنونها شكواهُم، وينشرون أفكارَهم، وإن شئتَ فقُل: يعلنون عن بضائعهم، تماماً كما يفعلون مع الصحافة اليوم.

أما طريقةُ الإعلانِ آنذاك: فهي التغنّي بالشعر، أو تناقلُه من الرواة وترديده في المحافل والمناسبات، وما من أديبٍ عربي إلا وهو يعرفُ قصة ذلك التاجرِ الذي كسَدت بضاعته، وكانت مجموعةً كبيرةً من القُماش الأسود اللونِ، الخاص بالنساء، فقصد أحدَ الشعراء المجِيدين ليقولَ شعراً في بِضاعته، علَّ يسبّبُ لها بعضَ الرواج، فأجابه الشاعرُ إلى طلبه، وقال:

قولوا لصَاحبةِ الخِمار الأسوَدِ ... مـاذا فعلـتِ بناسِـكٍ متعبِّـدِ
قَد كـان شمَّر للصـلاةِ ثيابَـه ... حتى وقَفتِ له ببابِ المسجدِ
رُدِّي عليـه صلاتَـه وصِيامَـهُ ... لا تقتـليهِ بحـقِّ ديـنِ محمَّـدِ

فما هي إلا أيامٌ ونفذَت البضاعة، حيث تناقل شعرَه الرواةُ، وأقبلت على الشراء رَباتُ الحسن والجمال .

وجاءت عهودُ التخلُّفِ، ومرت سنواتٌ وأعوامٌ من عصُور التأخّر والانحطاط، وضعُفتِ اللغةُ، وفقدَت الكثيرَ من أسباب قوّتها ورواجِها، وكان للقرآنِ الكريم الفضلُ في حفظها من الزوال والاضمحلالِ، مهما اختفَى المتفوقون من مفكريها وشعرائها، إلا أنها ظلت تعاني من الضَّعف والقصور، فما كان لأمة أن تزدهر آدابُها وفنونُها وهي دفينةُ حياةِ التخلف والانقسام، فمشت اللغةُ والشعرُ مع الأمة جنباً إلى جنبٍ، ولسانُ حالها يقول:

وهل أنَا إلا من غُزيَّةَ أن غوَت ... غَويتُ وأن تُرشَدْ غُزيَّةُ أرشَـدِ

حتى بدأتْ في العصرِ الحديث بوادرُ نهضةٍ أدبية، وبدأت الحياةُ والانتعاش تدبُّ في أوصالِ اللغة، وبدأ الشعرُ يستعيدُ شيئاً من قوّته، ويتبوَّأ مقاعد افتقدها.

وكان الأديبُ الكبيرُ، والشاعر المعروف، الضابط المصريُّ محمودُ سامي البارودِي في طليعَةِ من حملوا رايةَ النهضة الأدبية الحديثة، إن لم يكن أولَ من أعلنَ عنها، واقتحم بها ميادين الجهل:

أنا مَصدرُ الكلمِ البوادِي ... بينَ المحاضِر والبَوادي
أنا فارسٌ أنا شَاعرٌ ... في كلِّ ملحمةٍ ونادِي
فإذا ركبتُ فإنني ... زيدُ الفوراسِ في الجِلاد
وإذا نطقتُ فإنّني ... قُسُّ ابن سَاعدةَ الإياديّ

[وقال]:

يقول أناسٌ إنه السِّحرُ ضلَّه ... وما هي إلا نظرةٌ دونَها السِّحرُ
ولو كانَ مما يستطاعُ دفاعُه ... لألوتْ به البيضُ المبَاتيرُ والسُّمرُ
ولكنه الحبُّ الذي لو تعلَّقتْ ... شرارتُه بالجمرِ لاحترقَ الجمرُ

وأقبل شوقي وحافظ؛ وافتتحَ شوقي أجواءَ جديدةً، ومجالات رحبة في عالم الشعر، فقالَ في التاريخ، والقصة، والسياسة، والغزَل، وبرع في أسلوبِهِ، وبلاغة ورقَّةِ وحُسنِ ديباجته، وروعة معانيه، فلنستمعْ إليه إذاً في مطلعِ قصيدةٍ في ميلاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

وُلدَ الهدَى فالكائناتُ ضِياءُ ... وفَمُ الزمانِ تبسُّمٌ وثَناءُ

وفي السياسة:

يا ابنةَ اليمِّ مَا أبوكِ بخيلٌ ... ما لهُ مولعاً بمنعٍ وحَبسِ

أحـرامٌ عـلى بلابلِـه الـدَّوحُ حَلالٌ للطيرِ من كـلِّ جِـنسِ
كـلُّ دارٍ أخـفُّ بالأهـلِ إلا في خبيثٍ من المذاهبِ رجْسِ

والغَزَل:

صُـوني جمالـكِ عنَّـا إننَـا بـشرٌ من الترابِ وهذا الحسْنُ رُوحاني
أو فـابتغي فلَكـاً تؤتينَـهُ ملِكـاً لم يتخِـذْ نَـسباً في العـالم الفَـاني

وامتدت النهضة الحديثةُ إلى سائر أنحاءِ العالم العربي، فإلى جانب شُعَراءِ مصر، ظهرَ شعراءُ متفوقونَ في العراق والشام والجزيرة العربية، فالمغرب العربي.

وبرزَ شعراءُ المهجر العربي، فأدلوا بدلْوِهم، وساهمُوا بنماذجَ من الشِّعر العربي، تفيضُ رِقَّةً، وتنساب عذوبةً وجاذبية، وكان منهم: إيليا أبو ماضي، الشاعرُ الرقيقُ المتفائل، القائل:

أيهـا المـشتكِي ومـا بـكَ داءٌ كيف تغدو إذَا غدوتَ علِيلا
إن شرَّ النفوسِ نفسٌ بئـوسٌ تتمنَّى قبـلَ الرحيـلِ رَحـيلاَ
والذي نفسُه خلتْ من جَمالٍ لا يرَى في الوجُودِ شيئاً جميلا
أيهـا المـشتكِي ومـا بـك داءٌ كُن جَميلاً ترى الوجُودَ جَميلا

واصطبغت الحياةُ الشعرية بصبغةٍ زاهيةٍ ورقيقة، تجذبُ السامعَ، وتهز الوِجدان، وتحركُ وتثير العواطفَ والأحاسيس، ودخلت على الشعر بعضُ المفاهيمِ الجديدة، والتعابيرِ والمصطلحاتِ الحديثة، فلم يعد أحدٌ يقولُ: «إن الشعرَ هو الكلام الموزون المقفّى»، ولم يَعُد يلتزمُ أحدٌ بقاعدةِ:

* إذا كانَ مدحاً فالنَّسيبُ المقدَّمُ *

وأصبحَ الشعرُ يقوَّم بما تضمّنه من معاني بليغة وتعابير منسجمة، وما يتركه بنفس السامع من التأثر والانفعال، حتى قال أحدُ الشعراء المعاصرين:

الشعرُ من ذَوبِ القلُوبِ لفائفٌ مَـا الـشعرُ تقطيـعٌ ولا أوزانُ

وقال محمود طه:

الشعرُ عنديَ نفْحةٌ عُلْويةٌ وشُعاعُ كأسٍ لم يقبِّلهَا فَمُ

ولا يحسبنَّ قارئي الكريمُ أنني من دُعاةِ الشِّعر الحر، أو القائلين بإلغاءِ القَافية أو الوَزنِ أو التَّفاعيل، فتلكَ ـ في نظَري وحسَبَ علمي ـ من لوازمِ الشعر العربي، فهي أصيلةٌ في أدَبنا، نابعةٌ من صَميم بيئتنا، معجونةٌ بتراثنا الشعري، ولو افتقدناها لافتقدنا الكثير من مقومات شعرنا، مثل رنين الشعر وجرسه، وإيقاعه وموسيقاه، ولاختلط علينا الحابلُ بالنابل، والنثرُ بالشعر، كما هو حاصلٌ اليومَ ومشاهَدٌ ومقروءٌ في أكثر ما يطلقون عليه الشعرَ الحر!

فلا هو بالشِّعر ولا هو بالنَّثر، بل ولا هُو من الكلام! لأنه جُمَلٌ غيرُ مفهومة، وعباراتٌ لا يعرفُها غير كاتبها، بل ما أشبهَ بعضَ هذا الشعر الحرِّ وألفاظِه وأسلوبه ومعانيه، ما أشبهَه بالمصَارعة الحرة مع بعضها، فهي كلماتٌ متنافرة، وجمل متضاربة، «والمعنى في بطن الشاعر».

هذا؛ إذا نحن أسقطنا عنها التهمة التي اتَّهم بها بعضُ كتابِ العربية ورجالاتها، وهي: سوءُ نيّة بعض الداعين إلى هذا اللون من الأدب، فهم إلى جانب الدعوة إلى هذا النمط في الشعر ينادُون باستعمالِ اللغة العامية الدارجة والخاصة بكل قطر عربي، وينادون بإبدالِ الحروف العربيةِ بالحروف اللاتينية، والهدفُ الأساسي لهؤلاء هو:

الكيدُ للغة العربية عموماً، وللإسلام خاصة، وبذلك تنهارُ اللغة وتضيع، وتتفرَّقُ الأمة الواحدة، فتفقد تراثها وتاريخها على المدى القريب أو البعيد، وتخسَر فيهما، وتصابُ في إسلامها الذي هو حياتُها ومجدها وماضيها وحاضرها ومستقبلها.

وبعدُ؛

أما آنَ لأصحابِ لغة القرآن ـ وفيهم جهابذةُ البيان، وفطاحلُ البلاغة ـ أن يغضبوا ويقفوا بحَزمٍ في وجه من يحاربون لغة القرآن!.

أما آنَ لنا ـ نحنُ العرب ـ أن نحافظَ على لغتنا وننقّيها مما علق بها من دخيلِ القول وغلط التعبير، وندفعَ عنها بحقٍّ ما يريدُ البعضُ أن يصمَها به من القصور والضعف، زوراً وبهتاناً، وجحوداً وعدواناً.

ونزيلَ عن أذهان بعضِ إخواننا وأبنائنا هذا الوهمَ، بل هذا الجهلَ، الذي يجعله يرفعُ عقيرته اعتزازاً، لأنه يطعِّم لغته العربيةَ بألفاظ أجنبية، وهذه الأسماءَ والعناوينَ على واجهاتِ المحلات والمتاجر والمكاتب!

أما آنَ لنا أن نردَّها إلى أهلها، ونصيِّرها إلى أوطانها التي هاجرت إلينا منها، أو ننفِّذَ فيها حكمَ الإعدامِ داخلَ أوطانِنا! وننقذَ لغتَنا المجنيَّ عليها من دسَائسِ المعتدينَ وكيد الكائدين.

أحـمـد بن علي بـافقيـه

وَرقةٌ إلى القَارئ[١]

يـا قَـارئي مـاذا تظنُّـكَ قارِئـاً ... أتُـرَى تطَـالعُ مقطعـاً أدبيًّـا
مهـلاً فـما في دفَّتـي هـذا الكِتَـا ... بِ مـن الإثـارةِ مـا يـوفِّر رِيًّـا
بيضٌ من الصفحاتِ سَـوَّدَ لونَهـا ... قلمِـي فجـاء جريـرةً خطيًّـا
مـا كـان أحْـرَاني بـأن أدعَ الخيـا ... لَ وأن أفكِّـرَ في الأمُـور مليًّـا
يـا قَـارئي هـذا خَيـالُ مولَّـهٍ ... عشِقَ المحاسنَ منـذُ كـان صَبيًّا
ومـضَى إلى عَـرضِ الحيَـاةِ ميمِّماً ... بلَـداً قريبـاً تـارةً وقَـصيًّا
يهتـزُّ للفعْـلِ الجميـلِ تـأثراً ... ويـرَى المـروءة مبْـدءًا قدُسـيًّا
سـتراهَ مـا بـينَ الحـروف كنفْسِه ... شـفافةً مُتَـسامحاً عفْويًّـا
مـا كنـتُ يومـاً ناكِثـاً عهْـداً ولا ... متزلِّفـاً وغْـداً ولا سَـلْبيا
أهوَى الوضُوحَ ولا أطيقُ خَلائقاً ... أصـحابُها يتهامَـسُونَ نجيًّـا
والفـنُّ أمقتُـه وبـينَ جَـوانِحِي ... يجـدُ الحـسودُ عـدوَّه الأبَـدِيًّا
ولقد بلوتُ من الزمـانِ صرُوفَـه ... وعرفتُـه سـهلَ القيـاد رخيًّـا
ورأيتُ من طبعِ النفوس عَجائباً ... وغرائبـاً تـدَعُ الخـليَّ شَـجيًّا
ولكَم وفيتُ وما وفَى لي بَعـضُهم ... ولكم زرَعْتُ وما حصدْتُ جنيًّا

---

(١) نشرت بالملحق الثقافي بجريدة المدينة المنورة.

أسلمتُ نفسي مَـوطني وعقيـدَتي ... ووهَبْـتُ قلبـي راضـياً مرضـيًّا
إني شـــديدُ الاعتـــزازِ بـــأمَّتي ... أرعَـــى هواهَـــا بكـــرةً وعَـــشيًّا
مهـما تكـاثرتِ النوائِـبُ حولَهـا ... إني أرَى تاريخَهـــــا أزليًّـــــا
لا أنتمي لسِوَى العروبـةِ وُجْهـةً ... أنـــا لـــستُ شرقيـــاً ولا غرْبيًّـــا
أنا من ثَرى هَذي الجزيـرةِ تُربتـي ... هِـــيَ أنبتَتْنـــي مُـــسْلماً عربيًّـــا
وإذا ذهبـــتَ إلى منـــابع جَـــدولي ... تلقَـــى هُنـــاكَ محمـــداً وعليًّـــا

* * *

المديح النبوي

في رِحَابِ رسُولِ الله ﷺ

هذِه بعضُ الأحاسيسِ التي أوحَتْ بها زيارتي للمدينة المنورة على صاحبها أفضلُ الصلاة وأزكَى التسليم، وذلك عام ١٣٩٨هـ:

أنـــا يمّمْـــتُ ســـاحةَ المختـــارِ ... والهـوَى كـان رائِـدي وشِـعاري
جئتُ أسـعَى بعـد انقطـاعٍ ونـأيٍ ... وقُـصورٍ وبعـدَ طُـولِ انتظـارِ
جئـتُ أسـعَى وطالمـا أقعَـدتْني ... عن مغَاني شَـمسِ الهـدَى أوزاري
جئتُ أسعَى رُغْمَ الصِّعابِ وأقبلـ ... ـــتُ بـأهلي وأسرَتي وصِـغاري
نرتجـي نفحـةً تهُـبُّ مـع الفَجـرِ ... علينـا مـن حَـضرةِ الأنـوارِ
تـدعُ الجـدْبَ في حمانـا رياضـاً ... حفِلـتْ بـالثمارِ والأزهَـارِ
وتحيـلُ الإعْـراضَ هَـدْيا وإقبَـا ... لاً وفيـضاً مـن غيثهـا المـدرارِ
لـيسَ إلا أبَـا البتُـولِ لنـا بيـ ... ـنَ الـورَى خـيرُ أسـوةٍ ومنَـارِ
وإذا ضَـاقتِ الـدروبُ تلمّسـ ... ـنَا طَرِيقـاً مـشَاهُ مَـولى الغـارِ
وإذا أظلمـتْ وطالـتْ لياليـ ... ـنَا فمِـن هاهُنـا طلـوعُ النهـارِ
هـذه طيبـةٌ فطـوبَى لمـن ألـ ... ـقَى عـلى أرضِـها عَـصا التَّسيارِ
فـدعُوني في سِـحْرِها أتمـلّى ... وأنَـاجي روائـعَ الآثَـارِ
وأحيِّـي مـشاهداً يقـفُ التّـا ... ريـخُ مِنهـا مواقـفَ الإكبـارِ
صـورٌ مـن محمَّـدٍ ومـن الآ ... لِ تـراءَى وصـحبهِ الأخيـارِ

ومجـــالاتُ ذكرَيـــاتٍ مُـــضِيئا ... تٍ مـــنَ التّـــضحياتِ والإيثَـــارِ
شهدَت (بَدرُ) من عُلاهَا فـصُولاً ... وأفـــانينَ مـــن ضُروب الفَخـــارِ
وروَى (الخنـدَقُ) العظـيمُ ووارَى ... قِصَـــصاً مـــن روائـــعِ الأخبـــارِ
يومَ جاءتْ قُريشُ في غزوة الأحـ ... ـــزَابِ تزهُـــو بجَحْفَـــلٍ جَـــرَّارِ
وأتَـى في الجمُـوعِ عمْـرُو ابـنُ وُدٍّ ... فـــارسُ المـــشركينَ والأشْرارِ
وطغَـى جمعُهـم وصَـال وغَـالى ... عَمْـــرُهم في النكـــير والإنكَـــارِ
فرمَـــاهُم محمَّـــدٌ بِعَـــليٍّ ... وحبـــاهُ بـــسَيفهِ ذي الفقَـــار
فمـضَى مُـسْرِعاً وكَـرَّ عـلى القـومِ ... وأعظِـــمْ بحيـــدرِ الكَـــرَّارِ
وهـوَى سـيفُه فجنـدلَ عَمْـرواً ... وجَلاهـــا قبـــلَ انجـــلاءِ الغُبـــارِ
هـــذه طيبـــةٌ بنَفـــسي ثَراهَـــا ... ودِيـــاراً بهَـــا وأهـــلُ الـــدّيارِ
بلَـــدٌ طيّـــبٌ ورَبٌ غفُـــورٌ ... وحبيـــبٌ يرعَـــى حقُـــوقَ الجـــارِ

* * *

أمامَ الحجُرة الشّريفة

في إحدى زياراتي للمدينة المنورة، وأولها في أثناء زيارتي للقبر الشريف والحجرة المحيطة به، ربيع أول ١٤٠٢ هـ:

دَعني أحيِّي هذه الحجُراتِ ... وأشُمُّ من أنفاسِها العَطِراتِ
مُستقبلاً نفحاتِها مَسْبوقةً ... بأريجها من كلِّ صَوبٍ آتِ
وأمرِّغُ الخدَّينِ والشَّفتين بـ ... ـينَ تُرابها وأقبِّلُ العتَباتِ
دَعنِي أهدّئُ روعَتي دَعنِي أبُو ... حُ بلوعَتي دعنِي أبثُّ شِكاتي
فلطالما لعِبَ البعادُ بمُهجَتي ... وأسالَ من آلامه عَبَراتي
ولكم تمنيتُ الوقوفَ على ثَرى ... هذي الربوعِ مردِّداً نغَماتي
مُتَرنماً مترنِّحاً متوسِّلاً ... متزوِّداً بالخيرِ والخيراتِ
فرِحاً تجاذِبني المشَاعرُ آمِناً ... لا أشتكِي من حاضرٍ أو آتِ
وهنا يطيبُ لي المقام وفي الحمَى ... هذَا أحقِّقُ غايةَ الغاياتِ
فهنا الهدَى وهنا النّدى وهنا الرِّضا ... وهنا جِماعُ الحسنِ والحسناتِ
وهنا الثرَى الغالي، هنا الخلق العظيـ ... ـيمُ هُنا هنَا منِّي على خطَواتِ
مثوَى أبي الزهرا، فيا نفسُ الزميـ ... ـهِ وأعلنِي المكنونَ من صبواتي
وتطهَّري وتهلّلي وتوجّهي ... وخذِي الطريقَ إلى شَريفِ الذاتِ

واقرِي السلامَ عليه يتلُوه السلا ... مُ وواصلي الصلواتِ بالصّلواتِ

وقِفِي وقوفَ الخاضعينَ الخاشعي ... نَ وردِّدي ما شئتِ من دعَواتِ

واستغفرِي الله العظيمَ تجاهَه ... تجدِي رحيماً يقبلُ التوباتِ

أما الوفاءُ بحقّه فأمامَه ... سدٌّ من الكبواتِ والعقَباتِ

هذا مقامٌ لا يطيقُ بلوغَه ... سِحرُ البيانِ ولا القريضُ يُوَاتي

وأرى يراعِي عَاجزاً يشكو المرَا ... رةَ رُغمَ ما أوتيه من قدُراتِ

فلكم أقاد شوارِداً ولكم أجا ... دَ قَلائداً حلّى بها الصفحاتِ

لكنّ قدرَ محمّدٍ أعلى وأغـ ... ـلى أن تفيه بلاغةُ الكلماتِ

ماذا يقولُ القائلونَ وقَد أتَى ... تعظيمُه في محكَمِ الآياتِ

هل بعدَ قولِ الله قولٌ لامرِئٍ ... أو نُورِه شيءٌ سوَى الظلماتِ

يا صاحبَ الخلقِ العَظيم ويا إمَا ... مَ المرسلين وسيدَ الساداتِ

إنا أتينَا والقلوبُ يشوقُها ... حبٌّ وآمالٌ وشوقٌ عاتِ

وتولّعٌ وتطلّعٌ وتعلّقٌ ... وتعرّضٌ لهواطلِ النفحاتِ

إنا ظِمأٌ يا حَبيبي قد عرَى ... آفاقَنا جدبٌ وطُولُ سِناتِ

يا ويحَها ستظلُّ رهنَ جفَافِها ... إن لم يصِبها وابلُ الرحماتِ

ويعمّها غيثُ القبولِ بماطرٍ ... يحيِي من الآمالِ كُلَّ مواتِ

ونَعودُ بالغُفران نعمَ والرضَا ... وبطيّباتِ القُربِ والقرُباتِ

* * *

من وحْي ذِكرَى المولدِ الشّريف[1]

ألقيت في حفلة المولد النبوي الشريف التي يقيمها السيد الجليل الحبيب عبد الله بن حامد البار، بمنزله بجدة يوم: ٨/ ٣/ ١٤٠٢هـ:

أيُّ نُـورٍ بـدَا قُبيـلَ الـصّباحِ ... يترامَـى عـلى الربَـى والبطَـاحِ
أي فَجـرٍ أنـسامُه عطـراتٌ ... تتهـادَى في جيئـةٍ ورَواحِ
فتُحيـلُ اليبـابَ روضـاً مَرِيعـاً ... ورؤًى مـن بنفْـسَجٍ وأقَـاحِ
أيُّ صوتٍ عذْبٍ شجيِّ المعَاني ... عبقَـريِّ الإيقَـاعِ والإفـصَاحِ
رددتـه شـعابُ مكَّـةَ في شَـو ... قٍ فعَمَّ الصدَى جميعَ النّـواحِي
إنّـه أحمـدٌ يطـلُّ عـلَى الكـو ... نِ فـسُبحانَ فـالقِ الإصـباحِ
فاشهَدي يا سـماءُ مـيلادَ تاريـ ... ـخِ وميدِي يا أرضُ بـالأفراحِ
واهتِفي للجَـمال للحـقِّ للإيـ ... ـمانِ للعَـدلِ للـضّياءْ للفـلاحِ
وانعَمـي في ظِـلالِ دَعْـوةِ طَـه ... بالـذي تحلُمـين مـن إصـلاحِ
دعـوةٌ بـاركَ الإلـهُ خطَاهـا ... فأضِـيئَتْ لهـا دروبُ النّجـاحِ
ومشَتْ في الوجُود تقتلِعُ الظلـ ... ـمَ وتُلقيـهِ في مَهـبِّ الريـاحِ

---

(١) في كراس آخر عنونها الشاعر بـ«تحية المولد».

ومنها[١]:

بِـأبي ذلـك الوليـدُ ومـا شَـ ... ـبَّ عليهِ مـن النّـدى والسّماح
وبنَفسِي مراتِعـاً كـان يرتَـا ... دُ حِماهـا بـينَ المسَا والصباح
في ظـلالِ البيتِ العتيـقِ ومـا بيـ ... ـنَ الصفا والنقا وبعضِ النّواحي[٢]
وبشِعبِ الحجُـونِ حينـاً وفي غَـا ... رِ حِـرَا تَـارةً ودربِ البطَـاح
وكـأني بـشَيبةِ الحمـدِ يوليـه ... من الحبِّ ما يُغيضُ اللاحِي[٣]
هـذه هَـذهِ مرابـعُ طَـه ... هل عَلى من أحبّها من جُناح
أنـا أهـوَى سـهولها ورَوابيـ ... ـها ومـن تُربها أداوِي جِراحِي
وإذا مـا ظمئـتُ هيهـات يرويـ ... ـنِي سوَى مائِها الـزلالِ القَـراح
أنـا في حُبهَـا أسـيرٌ قَـديمٌ ... قَيـدُه واثِـقُ العُـرَى يـا صَـاح
وسـأبقَى عـلى هَواهَـا ولا أمـ ... ـلأ إلاّ مـن نبعِهَـا أقْـداحي[٤]
يـا نَبِـيَّ الهـدَى وغيـثَ البرا ... يـا، يـا طبيـبَ القلـوبِ والأرواح
عَظُم الخطبُ والعِدَى أخَذُوا الأمـ ... ـرَ عـلى المسلمينَ في كـلِّ سَـاح[٥]

---

(١) في النسخة الأخرى لا يوجد فصل بين الأبيات المتقدمة والمتأخرة.

(٢) في النسخة الأخرى جاء هذا البيت مفكوكا إلى بيتين، هكذا:

في ظـلالِ البيتِ العتيقِ وفي زمـ ... ـزم يحسو من مائها خير راح
وجـوار المقـام أو في المصلـى ... والصفا والنقا وبعض الضواحي

(٣) في نسخة أخرى: «من الحب كل قدر متاح».

(٤) هذا البيت لم يرد في النسخة الأصل.

(٥) جاء هذا البيت في النسخة الأخرى هكذا:

عَظُم الخطبُ والعِدَى ملكُوا الأمـ ... ـرَ وصَالُـوا في كُـلِّ نـادٍ وسَـاحِ

وتركْنَا حُكمَ الكتابِ ومَا أنـ ـزِلَ فيه وما أتَى في الصِّحَاح
وغدَونا مستضعَفينَ أذِلاّ ءَ مُباحينَ في حمانَا المبَاح
وغَدا بأسُنا ـ فرُحماكَ رَبي ـ بيننا، عاصِفاً كهُوج الرياح
فعسَى نفحةً بجاهِك تهدي ـنَا ونَمضِي إلى طريقِ الفلاح

* * *

شُدَّ الرِّحالَ

٢٠/ ٨/ ١٤٠٢هـ:

شُـدَّ الرِّحـالَ إلى النبـيِّ «محمَّـدِ» وجِوارَ حجرَتـهِ اعتكِـفْ في المسجِدِ
واطْـوِ الهـوَاءَ عـلى بِسَاطٍ يسْتَمـ ـدُّ وقـودَه مـن شَـوقِكَ المتوقّـدِ
وإذا هبطتَ على المطارِ بـ«طَيبةَ» فاهْـ ـتِفْ وصـلِّ عـلى النّبـيِّ وردّدِ
والـثُمْ ثـرى «أرض المدينـةِ» خاشِـعاً وإلى أهالِيهَـا الكـرامِ تَـودَّدِ
وتـولَّ متّجِهـاً إلى «حَـرمِ الرسُـولِ» وصَـلِّ في ذلٍّ لربّـكَ واسـجُدِ
وانهضْ إلى مثوَى «الحبيبِ» وقُـل لَـه أنـا عائـذٌ أنـا لائـذٌ يـا سَـيِّدي
أنَا في مقـامِ المعـوِزينَ وفي محـطَّ السَّـ ـائِلينَ أظـلُّ ممـدُودَ اليَـدِ
حتـى أنـالَ رضَـاكمُ ونَـداكمْ وأعُـبُّ مـن هـذا الخـضمِّ المزبِـدِ
أنا في الحمَى المأمونِ يـا ربَّ الحمَـى أنـا ضـيفُكم أنَـا في رحَـاب «محمَّـدِ»
منُّـوا عـليَّ بعطفـةٍ أو نظْـرةٍ أمـسي بهـا مـنكُم قريـبَ المقعَـدِ
أحظَـى بنُـور جَمـالكم وبِـه أرَى وبـه أسـيرُ عـلى الطريـقِ وأهتَـدي
وبـه أداوي علّتِـي وأبُـلُّ صـا دِي غَلّتِـي؛ وبـهِ أعيـدُ وأبتـدِي
وأهـيمُ في أجوائِـه ورياضِـهِ وتـذوبُ رُوحِـي في جـلالِ المشْهدِ
إني أحـنُّ إلى منـازلِ سَـادةٍ أوتُـوا مفـاتيحَ الهـدَى والسؤدُدِ

وأنـوحُ مـن ظَمَـأ لطَعـمِ شَرابِهـمْ ... فـشرابُهم يـا صـاحِ عَـذبُ المـوردِ

ويـشدّني للقبـةِ الخـضرا هَـوًى ... ولنورِهَـا المتـوهّجِ المتجـدّدِ

أنـا مَـن أحـبَّ! فليـت مـن أحببتُـه ... يحنُـو عـلي بـزَورةٍ أو مَوعـدِ

فـإذا ظفـرتُ بـه فحَـسبي مَغْـنماً ... عن كـلِّ مـا أرجُـو ليَـومي أو غَـدِي

هـو مطلَبـي المنـشودُ والأمَـلُ الـذي ... لا شيءَ عنـه في البـسيطةِ مُبعِـدي

لا زينـةُ الـدُّنيا وبهجتُهـا ولا ... الحـسناءُ صـاحبةُ الخـمارِ الأسْـودِ

* * *

تَحيةُ المولِد النَّبوي

تحية المولد النبوي الشريف؛ ٨/ ٣/ ١٤٠٤هـ ألقيت في حفلةِ المولد النبوي الشريف بمنزل الحبيب عبد الله بن حامد البار:

بظِلِّ ربيعٍ روضُه عطّرَ الأجواءْ ... وحيثُ يناجِي ذُو الهوى طيفَ من يهوى

«شَربْنَا على ذكْرِ الحبيبِ مُدامَةً» ... فكانتْ لنا أحلَى من المنِّ والسَلْوى

وطافَ بِنا رُوحُ المدينةِ عَابقاً ... وريحانُها عطْراً فَطِرنَا به نَشْوى

وهِمنا بذاكَ السفْحِ من ذلِكَ الحمَى ... ومن حلَّ فيهِ لا بـ«هندٍ» ولا «نَجْوَى»

وهل غيرُ ذكرَى «أحمدٍ» يالَ أحمدٍ ... وعشّاقِه أحرَى بأن تبعثَ الشّجْوا

يغالبُنا داعِي الحنينِ لطيبَةٍ ... فنرسلُه شِعْراً إلى ذلكَ المثْوَى

قصائدَ تحكي همّنا وهُمومنا ... وتصدَحُ في شوقٍ وتجأرُ بالشكْوى

إليكَ رسُولَ الله في يومِكَ الذي ... تقاسمتِ الأيامُ من نُوره الأضْواءْ

إليكَ رَسُولَ الله في يومِكَ الذي ... أفاضَ على أيامِنا الفخرَ والزهوَا

وتاهَتْ به أم القُرَى وشِعَابُها ... على حاضِراتِ المشرِقَينِ ولا غروَا

وهلّتْ تباشِيرُ النبوّةِ تغْمُر الـ ... ـبِلادَ وإرهاصَاتُها تملأُ الأجْواءْ

ودبّ الفَنا في مُلكِ كسْرَى وقيصرٍ ... وآنَ لِزرْعِ الظُلمِ والبَغْي أن يذْوَى

إليكَ رَسُولَ الله نشكُو نفوسَنا ... وسُودَ لياليناوواقعَنَا الأسْوأْ

فقد نفثَتْ فِينَا الدنَايا سمُومَها ... وألوَتْ بنا الأطماعُ والفنُّ والأهْوَاء

وأبْصَر كلٌّ في أخيهِ وجارِه ... عدُواً فيَالله ما أعظَمَ البلوَى

وسِرنا إلى آجالنا وصفُوفِنا ... سِراعاً وكُنّا للعدُوِّ كما يَهوَى

شُغِلْنا وإسْرائيلُ تحتلُّ قدسَنا ... بأنفسِنا فالحربُ ما بينَنا شَعْواءْ

ألا نَسمةٌ تحيِي الرميمَ وتبرئ الـ ... ـسّقِيمَ وتُنهي حالةَ التّيهِ واللأواءْ

وتجمعُ من بعد التفرقِ شَمْلنا ... ألا نفحةٌ يمْسي بها غَيمُنا صَحْوا!

ألا رحمةٌ يَا مَنْ وجودُكَ رحمةٌ ... ألا نظرةٌ من عَالمِ السِّر والنجْوَى

حبيبِي رسُولَ الله! هَذي تحيتِي ... فيا ليتَ شِعْري هلْ علَى رَفعِها أقوَى؟

ولي كلُّ عامٍ في رحابِكَ وقفةٌ ... أردّدُ ما أرجُو على قولِه العفوَا

أقولُ وأبدي في هَواكُم وادّعي ... وهلْ لأسيرِ الذّنْبِ أن يُصدِقَ الدعْوَى؟

وأنَّى له الإفلاتُ مِن سَيِّئاتِه ... وأين يوارِي ذلك اللغوَ واللهْوَا؟

إذا لم تكُنْ في صُورة الحبِّ صادقاً ... فلا خَير في ما تدّعيهِ ولا جَدْوَى

وما «مولِدُ المختَار» حفلاً نقيمُه ... فحسْبَ ونُزجي في موائدِه الحلوَى

ولا مَهرَجاناتٌ بكلِّ محلَّةٍ ... وليسَ أناشيداً ولا قِصّة تُروَى

ولا هو ضربٌ من قريظٍ منمَّقٍ ... نراعِي به الإعرابَ والصرفَ والنحْوَا

ولكنّه في ذَاتِهِ وصِفاته ... دروسٌ من الأخلاقِ والبرِّ والتقوَى

نطالعُ فيهَا من تعاليمِ «أَحمدٍ» ... ونأخذُ عنهُ الرشدَ والنصْحَ والفتوَى

ولكنه دربٌ مَشاهُ «محمّدٌ» ... وأصحابُه الله غايتُه القُصْوَى

* * *

حَبِيْبي رَسُولَ الله !

وصل الشاعر للمدينة المنورة آخر رمضان من عام ١٤٠٤هـ، وتشرف بالزيارة والسلام على رسول الله ﷺ، ثم ألمتْ به وعكةٌ حالت بينه وبين التمتع بالزيارة والجلوس والصلاة بمسجد رسول الله ﷺ، كما تأثر ابنه «حسَن» وظهر أن عنده الدودة الزائدة، الأمر الذي أضطره للسفر بسرعة إلى (جدة) ٣ شوال، وإجراء عملية جراحية لابنه كللت بالنجاح، ولله الحمد:

حبيبي رَسولَ الله ضَاقتْ بي الحيلْ ... ولكنّني في الله لم أفقدِ الأمَلْ
وقد جئتُ يحدُوني الرجاءْ لأزورَكُمْ ... وألقِي بأثقالِ الحمُولةِ والجمَلْ
على هذه الأعتَابِ أطرحُ حَاجتي ... وأغمُرُها بالشّمِّ والضمِّ والقُبَلْ
ووالله ما حُبُّ الديارِ ملكْنَني ... ولكنه حبُّ الذي في الدّيار حَلْ
وفي الدارِ أسْرارٌ وفيها بقيّةٌ ... تُحقَّقُ؛ يدْرِيها المريدُ إذا وَصلْ
حبيبي رَسُولَ الله! عفْوَك إنني ... لَفي غُمةٍ مما جرَى ليْ وما حصَلْ
أتيتُ وأنتُم بُغيَتي وقَضيتي ... لأنعمَ باللقيَا وبالقُربِ والمحَلْ
وأنظرُ عن قُربٍ ضريحاً يضمُّكم ... بنفسيَ من ضَمَّ الضريحُ وما شَملْ
برُوحي وأهلي والبنينِ مكَانةٌ ... أواصِرُها في مُهجَتي عَقدُها اكتَملْ
أتيتُ ولكنّ الموانِعَ عرقلَتْ ... وكنتُ إذا ما جئتُ أمشي على عَجلْ

إلى المسجدِ [الباهي] أصلِّي تحيّتي ... وأنهضُ أجري حيثُ مثواكُمُ الأجلّ

أصلي عليكُم والدّمُوعُ سَواكِبٌ ... وأطفئُ في قلبي من الشّوقِ ما اشتَعَلْ

ثلاثةُ أيامٍ مضَتْ وتصرّمتْ ... وطَرْفي برُؤيا مَوضِع القَبر ما اكتحَلْ!

وذلك أمرٌ لا أطيقُ احتمالَهُ ... وإني لَفِي ذُعْرٍ وإني لَفي وَجَلْ

فهل ليَ أن أحظَى لديكُم بوقفَةٍ ... يزولُ بها ما نابَ جِسْمي من العِلَلْ

وتبرأُ نَفْسي من شَدائدَ جمَّةٍ ... وتطهُر رُوحي من أثَامٍ ومن خَلَلْ

وأرجعُ مِنْها بالقبولِ مُزوّداً ... وأهلي وأبنَائي جميعاً ومن سألْ

ويُشفَى صَغيري عَاجلاً «حسَنٌ» الذي ... بنَى في سُويداءِ الفؤاد لَه محلْ

* * *

اليَومَ يومُ المصْطفَى ﷺ

ألقيتْ في «الهدَا» في «حفلة المولد» التي أقامها محمد بن صالح المحضار؛ شَوال ١٤٠٦هـ:

تفيضُ بقاعُ الأرضِ رَوحاً ورَيحانَا ... بذكرِ رسُولِ الله أعلَى الورَى شَأنا
وتحيَى قلوبٌ نالَ من دمِها الصدَى ... وتُمسي وقد شعّتْ خَلاقاً وإيماناً
وهبَّ عليهَا من نسائمِ «طَيبةٍ» ... أريجٌ يُحيلُ الجدْبَ يهتزُّ ريّانَا
هو اليومُ! يومُ المصطفَى تحتفِي به ... وتعنُو لهُ الأيام عُرفاً وعِرفانَا
هو اليومُ! إرهاصاتُه عمَّ نورُها ... وهيّأ أفكَاراً وعطّرَ أكوانَا
هو اليومُ! توليهِ السماءُ عنايةً ... وتعلنُه «التَّوراةُ» بالنصِّ إعلانَا
ولما تجلّى الحقُّ في ملكُوتِه ... وشاءَ وما شاءَتْ إرادتُه كانَا
بأن يمنحَ الدُنيا سلاماً ورحمةً ... ويخلقَ من عَين الكمالاتِ إنسَانا
أطَلَّ نبيُّ الله في فَجْرِ ليلةٍ ... تعدّى مدَى خَيراتها الأنسَ والجانَا
وهشّت لهُ أمُّ القُرَى وتزيّنَتْ ... وحيّاهُ بيتُ الله حِجْراً وأركانَا
وخفَّ إليه «شَيبةُ الحمْدِ» باسِماً ... يردّدُ آيَ الحمدِ لله شُكرَانا
ومِنْ حولهِ أبنَاؤهُ قد تجمّعُوا ... وسارُوا زرافاتٍ هناكَ ووِحْدانا
يحفُّونَ بالهادِي البَشيرِ وكلُّهُم ... أمامَ «ابنِ عبد الله» يرفُلُ فَرحانا

وشبَّ «أبُو الزّهراء» في خيرِ مَنبِتٍ ... تحوطُ وتَرعاهُ السماءْ أينما كانَا

وأعلنَهَا في حينها خيرَ مِلَّةٍ ... حَنيفيةٍ كانَ الخليلُ بها دانَا

وأنذرَ قبلَ الناسِ في الأرضِ قومَه ... وحذّرهم بَغياً وكفْراً وعِصْيانا

وأبدَلهم بالذلِّ عِزاً ومَنعةً ... وبالجهلِ علماً، والضلالةِ إيمانا

وكانوا إلى ما قَبلِ مولدِ «أحمدٍ» ... وبعثَتِه صُماً وبكْماً وعُميانَا

فجاءَهمُ بالمعجزاتِ بَواهراً ... وتوّجهُ عَدلاً وعِلماً وقُرآنا

كتابٌ عزيزٌ ما تَلاه مفكّرٌ ... وذو فطنةٍ إلا وأذعنَ إذعانَا

ولا رامةُ الأقوامُ إلا وحَجَّهمْ ... وأفحمَهم قَولاً وعلماً وبُرهانا

كلامُ إلهِ العالمينَ وحسْبهُ ... بذاك دلالاتٍ وهَدياً وتبيانَا

فليتَ لنا من ذلك النبعِ شَربةً ... بها سِرُّنا يزكو وتَصلُحُ نجْوانا

وليتَ لنا من عالمِ الروح لحظةً ... تزولُ بها أوزارُنا وخَطايانا

إذا ما ضَمِنا القُربَ في حضْرةِ المنَى ... فما ضرنَا من بعدِه مَنْ تجافانَا

❊ ❊ ❊

في مَولدِ رسُولِ الإنسانيةِ ﷺ

٨/ ٣/ ١٤٠٧هـ

على خَيرِ خلقِ الله صَلّوا وسلّمُوا ... وعنه خذُوا علمَ الكتابِ وعلِّمُوا
وحيُّوا ليالٍ شرِّفتْ بقدُومِه ... وأيامَ أمجادٍ على الله أكْرمُ
ليالٍ وأياماً تلألأ نورُها ... فهشَّ لها البَيتُ العتيقُ وزَمْزَمُ
وحُقَّ لطلابِ الحقيقة أن يرَوا ... بأعيُنِهم وجْهاً لها يتبسّمُ
وأن يَشهدُوها منظَراً باهِرَ السَّنا ... وأن يسْمعُوهَا حُجَّةً تتكلمُ
فذلكَ ميلادُ البَشير وإنّه ... لأكبرُ مما قِيلَ فيه وأعْظَمُ
وقد جاءتِ الآياتُ في فضْلِ ذاتِه ... وما بعدَ قولِ الله إلا التوَهُّمُ
وأعطاهُ ما يرجُو وربَّك وحْدَه ... بما خُصَّ أو أعطِيْ محمَّدُ أعلَمُ
وأخمِدَتِ النيرانُ في أرضِ فارسٍ ... وكِسْرَى رأى إيوانَهُ يتحطّمُ
ودانت له الدُّنيا وأرخَت قيادَها ... وما حملَتْ وانجابَ ظلمٌ ومظْلَمُ
وقامتْ على أرضِ البسيطةِ دولةٌ ... دعائمُهَا التوحيدُ والله يحكُمُ
ودُستورُها دِينٌ تسوسُ له الورَى ... وهديٌ وقرآنٌ وجَيشٌ عرَمْرمُ
فطوبَى لقومٍ صدَّقوا بمحمَّدٍ ... وقبلَ جُموعِ المسلمينَ وأمموا
وكانوا حماةَ الدّين ضدَّ من اعتدَى ... ومعترضٍ أو ساخطٍ يتهجّمُ

سلوا الشِّعبَ إذ هبّتْ قُريشٌ وجمعُها ... تحاصرُهم فالشِّعب أدرَى وأفهمُ

بما بذَلوا من جُهدِهم وعنَائهم ... وما صبرُوا من أجلِه وتجشّمُوا

حبيبي رسولَ الله ضاقَ فضاؤُنا ... وألوَتْ بنَا أعداؤنا وتحكّمُوا

وكنا ملوكاً يومَ كنَّا بِديننا ... نلوذُ وفي ظلِّ الشريعَة نَنعُمُ

حبيبي ونحنُ النازحونَ عن الحمَى ... تطاولَ مسْرانا وزادَ التبَرُّمُ

وعشْنا ولا زلنَا سنيناً عديدةً ... بِعَاداً وأشواقاً تخِفُّ وتُؤلِمُ

وها أنا بعدَ البينِ والبُعدِ والضَّنى ... أؤخِّرُ رجْلاً تَارةً وأقدِّمُ

كأني لم أسمُر بدَوعنَ ليلةً ... ولا كان لي فيه جليسٌ ومُلهِمُ

ولا كان لي ضمنَ القُرَينِ أحبةً ... يرقُّ هواهُم حولَنا ويخيِّمُ

وأقبلت الأصحابُ من كلِّ وُجْهةٍ ... وكلٌّ بحبِّ الله في القَوم مُغرَمُ

ولا عيبَ في أفعالهم غيرَ أنهُم ... رجالٌ إذا ما أحجَم الناسُ أقدَموا

❊ ❊ ❊

تحيةُ المولدِ النبويِّ الشريفِ

أهـلَّ ربيـعٌ يبعـثُ النـورَ والبُـشْرى ... وينـشُر في أرجائنـا الخـيرَ والطهْـرا
ويـا حبَّـذا ذِكـرَى ربيـعٍ وطيفُهـا ... وما حملَتْ في خطوِها تلكُـمُ الـذّكرَى
تطالعُنـا في كـلِّ عـام فنتَـشي ... وتصحُو نفـوسٌ في عَزاياتهـا سَكْرى
وتـصفُو قلـوبٌ طالمـا نالهـا الـصدَى ... وأرهقَها الإعراضُ مـن أمْرِهـا عُـسْرا
وأعظِم بِـذكرَى مولـدٍ حَـوَّل الـدُّجى ... نهارا تغطّـي شَمـسُه الـسهلَ والـوعْرا
وأسـدتْ إلى التّـاريخِ أمَّ محمَّـدٍ ... بـه مِنَنـاً مـا انفـكَّ وابلُهـا يـترَى
ويلقِـي عـلى شـتَّى العـصُور ظلالهـا ... ويمـلأ أرجـاءَ الـدُّنا عَرفُهـا عِطْـرَا
لقـد وضَـعت خـيرَ النبيـين سـؤدُداً ... وأعظمَهـم قـدْراً وأرفعَهـم ذكْـرا
وأكثـرَهم هـدْياً وجُـودا وحكمـةً ... وأرحمَهـم قلبـاً وأشرحَهـم صـدْرا
فـضجّت بـه بطحَـاءُ مكّـةَ بهجـةً ... كـأنّ بهـا مـن فـرْطِ نـشْوتها سِـحْرا
ففـي كـلِّ شـعْبٍ فرحـةٌ ومـسَرَّةٌ ... وفي كـلِّ حـيٍّ حفلـةٌ بـأبي الزّهْـراء
وخـفَّ إليـه شـيبةُ الحمْـدِ تائِهـاً ... عـلى قَومـهِ تعلُـو سرائـرَه البُـشْرَى
وسـماه إلهامـاً ورشْـداً (محمَّـداً) ... ولله أزجَـى المجْـدَ والحمْـدَ والـشُّكْرا
وعـوّذهُ بـالله مـن شرِّ حاسِـدٍ ... وشَانٍ ومن يُبدي ومـن يُـضمِرُ الـشَّرَّا
وشـبَّ رسـولُ الله رمْـزاً يمثِّـلُ الـ ... ـعَدالةَ والأخْـلاقَ والرِّفْـقَ والـبرَّا

وتلمـــعُ في الآفـــاقِ مـــن بركاتِـــه ... ظـــواهرُ إرْهاصـــاً بـــأنَّ لـــه أمْـــرا
إلى أن أتَـــى أمـــرُ الإلـــهِ وآذنَـــت ... مـــشيئته العظْمَـــى وقـــال لـــهُ: اقـــرأ
وقـــد صـــاغَه الـــرّحمنُ للنـــاسِ رحمـــةً ... وأكرمَـــهُ بالـــذِّكرِ مـــن نـــزَّلَ الـــذِّكْرا
وأعطـــاهُ جبريـــلُ الأمِـــينُ مُرافِقـــاً ... وأسرَى به لـيلاً فـسُبحانَ مـن أسْرَى
وصـــلى إمامـــاً بـــالنبيينَ يقتفُـــو ... نَ آثـــارَهُ إن قـــامَ لله أو خَـــرَّا
وجـــاز بـــه الـــسّبعَ الطبـــاقَ مرحِّبـــاً ... بـــه في الـــسماواتِ العـــلى حيـــثُما مـــرَّا
ونـــادَى وناجـــاهُ وأوحَـــى لعبْـــدِه ... هنالـكَ مـا أوحَـى مـن المُثُـلِ الغـرّاءْ
وأولاه مـــا أولاهُ قربـــاً ورِفْعـــةً ... وأولاهُ مـا أولاه في النَّزلـةِ الأخْـرَى
ففاضتْ رضاً نفسُ الحبيبِ بما رأى ... وشـاهدَ مـن آيـاتِ خالقِـه الكُـبْرى
حبيبـي رسـولَ الله جاهُـكَ واسـعٌ ... بـــهِ يرفَـــعُ الله المخافَـــةَ والـــضَّراء
حبيبـــي رســـولَ الله إن جموعنـــا ... حيارى فهل من عطفة ترشد الحيرى
حبيبـــي رســـولَ الله إن جَناحَنـــا ... كسيرٌ فمَـن يـا سـيدي يجبُرُ الكَسْرا
لقـد طـالَ ليـلُ المسلمينَ وأظلمَـتْ ... مسالكُهم واستفحلَ الداءُ واسْتَشْرى
وأســـلمَنا حـــبُّ الحيـــاةِ ولهوِهَـــا ... برغْم وصَـاياكم إلى الـدِّمَنِ الخـضْراء
وهمنـــا غرامـــاً بالعَـــدَاوة بيننـــا ... فنحنُ عـن الـشّحناء لم نـستطعْ صَـبرا
وخُضْنا لظَى حَرْبِ الأشـقّاءْ ولم نَـزلْ ... عـلى حُرقـةِ القُربَـى وتمزيقِهـا أجْـرأ
وضـــاقَتْ بنـــا أوطانُنـــا وتلوَّنَـــتْ ... فـلا شَـامُنا شـاماً ولا مِـصرُنا مِـصْرا
تركْنـــا كتـــابَ الله خلْـــفَ ظهُورنـــا ... وحيـــداً وأوســـعْنا تعاليمَـــه هجْـــرا
وجُبنا فِجـاجَ الأرضِ نلـتمِسُ الهـدى ... ونبحَثُ عمّـن يـدفعُ الظلـمَ والجـوْرا
فـلا بـسِوَى الإسـلامِ يـنهَضُ أمرُنَـا ... ولا بِـسوَى القُـرآنِ أمراضُـنا تَـبْرأ

روحانیات

في جَبلْ عَرَفاتٍ

كان يجلسُ بالخيمةِ المجاورةِ بالجبل الكريمِ عددٌ من رجالِ الفكر والأدبِ، بينهم: أستاذُنا الشاعرُ حُسَين بن محمد البار، فأرسلتُ إليهِ الأبياتِ التالية، فما لبث أن وصلَ الردُّ منه خلالَ ساعة؛ ٩/ ١٢/ ١٣٧٤هـ:

قِفْ لربِّ السماء في عَرفاتِهْ ... وارمِ ثقَلَ الذنُوبِ في ساحاتِهْ

وأنِبْ مخلِصاً فهذا رُبَى التـ ... ـوبةِ واهتفْ مستمطِراً رحَماتهْ

أيها الشّاعرُ الذي ردَّد الكو ... نُ وسكانُه صدَى نفثَاتِهْ

قُل! فهذِي بواعثُ الشِّعرِ تدعُو ... كَ، وردّد بيانَ سِحرِكَ، هاتِهْ

دونَك المشهدُ العظيمُ فسجِّلْ ... ما يهزُّ القلوبَ من آياتِهْ

أحمد بن علي بافقيه

وجاء الردّ في نفسِ الساعة يحملُ الأبيات التالية:

يـا هـزاراً ينسابُ في أغنياتـه ... كانسيابِ الأثير في نَسَماتهْ
روِّ رُوحي بنبضِ شعركَ إني ... لمشُوقٌ إلى سَماع بناتِهْ
جئتُ أسعى وفي جوانحي الشو ... ق إلى كعبة السّناء وذاتِهْ
مؤمناً مخلِصاً تقياً منيباً ... لشهُود الجمالِ في عرَصَاتهْ
الجمالِ الذي يطوّح بالجسـ ... ـمِ ويسمُو على تُراب حياتهْ
الجمالِ الذي يحلِّقُ بالرُّو ... حِ إلى عالمِ الهدَى وبنُاتهْ
فَشَهِدتُ الآثار يا ابنَ عَليٍّ ... مفصحاتٍ للمَجدِ عن خالداتهْ
لا تعظنِي فحسْبُ ما قدَّم الدّ ... هرُ إلى نفْسِ شاعرٍ من عِظاتِهْ
قفْ ودَعني في مَوكِبِ النُّور ... أحْسُو النورَ من شَمسِه ومن نيّراتهْ

حسين بن محمد البار

خَتمُ «صَحيحِ البُخَارِي»

تحيةٌ إلى الشيخ سالم باحشوان؛ (بمكة المكرمة)، بمناسبة ختم «صحيح البخاري» في منزله العامر؛ مكة المكرمة ١٧ / ٧/ ١٤٠١هـ:

لـــيسَ أحْـــرَى بمنـــزلِ الأخيـــارِ ... من هُدَى الذكرِ أو «صَحِيح البُخَاري»

فِـــيهما حفظُنـــا مـــن الزّيـــغِ والميـــ ... ـــلِ وطُـــرُقِ الـــضّلالِ والانحـــدارِ

فـــيهما عزُّنَـــا ونيـــلُ منانَـــا ... في الحيـــاةِ الـــدُنيا ودارِ القَـــرارِ

لـــنْ تَـــضِلّوا بعـــديْ إذا مَـــا تمـــسّكْـ ... ـــتُمْ بَـــما فـــيهما مـــنَ الأسْرارِ

هكـــذا قالهـــا شَـــفيعُ البرايَـــا ... هكـــذا جاءنَـــا عـــن المختَـــارِ

فاســـمعُوا قولَـــه وصـــلُّوا علَيـــه ... وعـــلَى آلـــهِ أولي الأبـــصَارِ

وعـــلى صـــحبِه المهـــاجِر مـــنهُم ... وعـــلَى أهـــلِ «طيبـــةَ» الأنـــصارِ

ســـيدُ المرســـلين «ســـنتُه» بَعـــدَ «الـــ ... ـــكِتَابِ الكـــريمِ» شـــمسُ النهـــارِ

هـــي نبراسُـــنا هـــي الحكَـــمُ العَـــ ... ـــدْلُ هـــي المرجـــعُ الحكـــيمُ القَـــرارِ

كـــم لجأنَـــا إلى حماهَـــا فكانَـــتْ ... خَـــير دِرْعٍ لنـــا مـــن الأخطَـــارِ

ولكَـــمْ ذلّلـــتْ وجلّـــتْ لنَـــا مـــن ... مـــشكلاتٍ أعيـــتْ عقـــولَ الكِبَـــارِ

ولكَـــمْ فـــسّرتْ لنَـــا في كتـــابِ اللّـــ ... ـــهِ مـــن حكمـــةٍ ومـــن أسرارِ

فاســـألُوا قـــادةَ الـــصّحابة عنهَـــا ... واســـألُوا التـــابعينَ في الأمـــصارِ

واسـألُوا مـن أتَـى يحـثُّ خطـاهُ ... بعـدَهم مـن أئمـةٍ أخيـارِ

كـم تَـساعَوا إلى الحفَـاظِ علَيهـا ... واستَـسَاغُوا متاعِـبَ الأسْـفارِ

أفيَـأتي مـن يـصرفُ النـاسَ عنهَـا؟ ... وينـادي بهَـدْمِ هـذا المنَـارِ؟

لا ورَبي فَـإنّ «سُـنّة طَـهَ» ... سـوفَ تبقَـى تـضيءُ ليـلَ الـسّاري

سـوف تبقَـى صرْحـاً عـلى الأرْ ... ضِ مـا كـرَّ الجديـدانِ عـاليَ الأسـوارِ

سـوف تبقَـى رغْـم العِـدَى مـصدَراً ... للـشّرعِ نَجنـي منـهُ شـهيَّ الـثّمارِ

والتهـاني منّـا لـ«آل أبي حَـشْوا ... نَ» أهـلِ الثنَـاءِ والإيثَـارِ

عمَـرَ الله دورَهُـم بهُـداهُ ... وحـديثِ النبـيِّ والأذكَـارِ

ورعَـاهُم في أهلِهِـم وبنِـيهم ... وذَويهِـم ومـدَّ في الأعمـارِ

* * *

في فِنَاءِ البَيتِ العَتيقِ

في فناء «البيتِ» دَعني هاهُنا ألقِي الشِّراعَا
أتحرَّى نفحاتِ الرُّوحِ تَنهالُ تِباعَا
وأَنَلْ ما أبتغِي من طَيّبِ الزادِ متاعَا
والطمأنينةُ تغشَاني فلا أخشَى ضَياعَا

* * *

ربِّ عاقتني خطِيآتي وغمّتنِي ذُنوبي
فأنَا أمْشي ولا أبصِرُ في السَّير دربُوبي
وإذا حاولتُ .. صدَّتني عنِ الرؤيا عيُوبي
غيرَ أني برِحَابِ البَيتِ تَنزاحُ كُروبي

* * *

ظَامئٌ .. ظامئةٌ رُوحي لكأسٍ معنويّةْ
أحتسيها لا أبقِّي لغدٍ مِنهَا بقيّةْ
أحتَسيها وإذا دُنيايَ آفاقٌ نديّةْ
وإذا الخوفُ أمانٌ، وإذا النفسُ رَضيّةْ

* * *

ربِّ زدني بِـــكَ إيمانـــاً وألهِمْنـــي اليقينَـــا
وأنِـــرْ قلبـــيْ وكُـــن لي في المهـــماتِ مُعينَـــا
واحمِني من شرِّ نفْسٍ حَـوتِ الـداءَ الـدّفينا
ربِّ واجعلنِـي بقُـرْبِ البيـتِ إنـسَاناً قَمِينـا

* * *

واهدِني حتّى أرَى خَطوي على نهجِ «محمّـدْ»
ومُـــوالاتي لَـــهُ في كـــلِّ يـــومٍ تتجـــدَّدْ
عمَـلاً أرجُـوهُ؛ لا قَـولاً، ولا شِـعْراً يـردَّدْ
أرِدُ الحـوضَ بـه يـومَ التنَـادِي خـيرَ مَـورِدْ

* * *

حَضرةُ البَارِ ..

أُنشِدَت في حضرة السادة الأجلاء آل البار، التي تقام كل يوم ثلاثاء في دوعن القرين، ثم قام بتأسيسها السيد الجليل **عبد الله بن حامد البار** في جدة، وهي مهداة إليه، بجدة، حيث أنشئت القصيدة: ٢٠/ ١٢/ ١٤٠٦هـ.

«هذه الحضرةُ الميمونة المباركة، التي أسّسها كُمّل الرجال، ويحضرها كمّل الرجال، لطالما حدثتني النفسُ أن أحييها بتحية خالصة، هي كل ما أستطيع، وأقل ما يجب، ولم يسعفني القلم ربما لتهيبي وقصوري، وأخيرا حضرتني هذه الأبيات التي أوجهها إلى مؤسس الحضرة بجدة، الحبيب عبد الله بنِ حامد البار، وهي منه وإليه»:

ما طَافَ حيًّا طائفُ الأذكارِ ... إلا وأبدلَ ليلَهُ بنهَار

وسرَى يعطّرُه أريجٌ عابقٌ ... يُزري بعَرْفِ نسَائمِ الأسْحار

ولنا شواهدُنا بحضْرةِ معْشَرٍ ... مِنْ برِّهم سُمُّوا بِآلِ البَارِ

منهم نزيلُ جَلاجلٍ والحبرُ أحـ ... ـمدُ والحسينُ مقدَّمُ الأبرارِ

وأرَى خليفتَهم ربيبَ المجدِ مَن ... أوتي الفهُومَ وصَائِبَ الأفكارِ

الشهْمُ عبد الله مَن شَهِدُوا له ... بالفَضْلِ والحسْنَى أولُو الأبصارِ

تقْرَا الرُّجولةَ في ملامِحِ وجْههِ ... وتَرى الفُحولَةَ فيه شَمْسَ نهارِ

بكَ يا ابْنَ حامِدَ كمْ مشارعَ أُنجِزَتْ ... ومساجِداً عُمِرت وأبْصَر سارِ

يـا حبّـذا مـا نلـتَ مـن سَـهْمٍ ومـا ... جـدَّدتَ مـن رَسْـمٍ ومـن آثـارِ
أحييتَ حضْرةَ معْشرٍ ورِثُوا الهـدَى ... والـصالحاتِ عـن النبِـيْ المختـارِ
هـي حـضرةٌ يهمِـي عـلى رُوّادهـا ... فـيضٌ مـن النفحـاتِ والأنـوارِ
وتجـولُ في أرجائهـا وخِلالهـا ... روحٌ تُزيـلُ سـحائبَ الأكـدارِ
أنـتَ الـذي أسّـسْتها في جُـدَّةٍ ... وعملْـتَ في عَـزْمٍ وفي إصْرارِ
فـإذا بهـا بجُهـودِكُم وبفَـضْلكُم ... مـأوَى العِطَـاشِ وكعبـةُ الـزُّوّارِ
يرتادُهـا العلـماءُ مـن سَـاداتنا ... ويؤمُّهـا حَـشدٌ مـن الأخْيـارِ
كالـسّيدِ الـسّقاف يعْـسُوبِ المـلا ... سـهلِ الخليقَـةِ وارثِ الأسرارِ
والـشّاطريِّ العبقـريِّ وإنّـه ... في علمِـه حَـبرٌ مـن الأحبـارِ
هذي الفـضائل يـا ابـنَ حامِـدَ نلتَهـا ... ونهجْـتَ نهـجَ الـسّادة الأطهـارِ
وأخـذتَ مـن أسْرارِهـمْ وعلُـومهم ... حظًّـا سـمَوتَ بـه عـلى الأغْيـارِ
أنّـى حللـتَ بمَـوطنٍ أو غُربَـةٍ ... أثبـتَّ أنـكَ مطْمَـحُ الأنظـارِ

* * *

وطنیات

مَنطِقُ الغَابِ

بمناسبة الحظْر على الأندية والجمعيات الثقافية بحضرموت في عهد الاستعمار:

وقـــالوا لا دســـاتيرُ ... ولا نـــادٍ ولا حـــزبُ
ولا جمعيـــةٌ يـــشكو ... هـــواهُ عنـــدَها الـــصبُّ
ولا متـــــنفسٌ فيـــــه ... يلطِّـف جوُّنـا الـصعبُ
ولا رأيٌ تفـــوهُ بـــه ... فقلنـا حسبكم حسبُ
ألم يكْـــفِ بنـــا أنّـــا ... بقينـا ومـشَى الركْـبُ
وأنَّـــا بـــينَ جَـــرْداءَ ... فـلا زهـرٌ ولا عـشبُ
وأن الفقـــرَ في الأحقـــا ... ف داءٌ مـــا لـــه طِـــبُّ
وعاصِمةٌ لنـا استعْـصَى ... عـلى سـكانها الـشُّربُ
رُوَيـــداً أيهـــا البَـــاغي ... ولا يمضي بكَ العُجْبُ
ســـنأخذُ حقَّنـــا قهـــراً ... سيعرفُ دربَـه الـشّعبُ

* * *

تَـحيةُ «الرَّائدِ»[1]

أصدرَ الأديبُ الشاعر حسين بن محمد البار مجلة بالمكلاّ أسماها «الرائد» فأرسلت إليه بهذه التحية:

طلعَـتْ عـلى مَهْـدِ الجـدُودِ ... كالـصُبحِ كـالفَجرِ الجديـدِ
غـرّاءُ تنبـئُ بالغَـدِ الـ ... ـمَأْمُولِ والعَهـدِ الـسّعيدِ
حملَـتْ رِسَـالةَ أمَّـةٍ ... ومَـضتْ بـإيمانِ المرِيـدِ
تَهـدِي وتُرشِـدُ حَـائراً ... وتحـدُّ مـن صَـلفِ العَنِيـدِ
يـا مبْعـثَ الأحـلامِ يـا ... أمَـلاً لتَحْطـيمِ القُيـودِ
يـا نـسمةً مَـرّتْ عـلَى الـوَا ... دِي فـأورَقَ كـلُّ عُـودِ
يـا نفْحـةً عرَبيّـةً ... بُوركـتِ يانعَـةَ الجهُـودِ
يـا شُـعلةً وطَنيـةً ... سـطعَتْ عـلى دُنيـا ثَمُـودِ
يـا «رائِـدَ الأحـرارِ» يـا ... غـراءُ يـا بيـتَ القَـصيدِ
شُـقّي الطريـقَ ومهِّـدي ... للنـصْرِ للغَـرَضِ البعيـدِ
وخُـذي الأعنّـةَ وارسُـمِي ... الأهـدافَ للجيـلِ الجديـدِ
وامْـضي بنـا قـدُما وعَـن ... نهـجِ الحقيقَـةِ لا تحيـدي

---

(١) ١ جمادى الثانية ١٣٨٠ هـ نشرت بمجلة «الرائد» الحضرمية .

حتّـــى ننـــالَ مكَانـــةً ... مرمُوقـــةً بـــين الوجُـــودِ
ونـــسِيرَ في ركْـــبِ العـــرُو ... بَـــةِ وهْـــوَ خفّـــاقُ البنُـــودِ
دُسْـــتورُنا الإســـلامُ مَـــصْـ ... ـــدَرُ كـــلِّ مكرُمـــةٍ وجُـــودِ
يـــا صَـــوتَ وادِينَـــا الحبيـــ ... ـــبِ لكُـــلِّ مغـــتَرِبٍ شَريـــدِ
هَـــاتي حـــديثَكِ عَـــن مَـــرا ... تِعنَـــا وعَـــن مـــدُنٍ وبيْـــدِ
وصِـــفيْ لنـــا تلـــكَ الربُـــ ... ـــوعَ وأهلَها وصِفي وزيْـدِي
يـــا بَعـــضَ آمَـــالِ الـــشّبا ... بِ ومطمـــحَ العَـــدَدِ العَديـــدِ
ســـــيري بعَـــــونِ الله لا ... يثنيـــك مرتفـــع الـــسدودِ
بخُطًـــى تـــَجِدّ وهمـــة ... قعـساءُ تفُـل قُـوَى الحديـدِ
ولـــديكِ مـــن عَـــزْمِ الـــشبا ... بِ وروحِـــه خَـــيرُ الوقُـــودِ

❊ ❊ ❊

صَحافةُ حضْرَموت

بمناسبة صدور مجلتي «الطليعة» و«الرائد»، أول مجلتين من نوعهما في حضرموت؛ ١٥/ ٨/ ١٣٨٢هـ:

قالُوا لنا: في حَضْرَموتَ صَحافَةٌ ... ظهرَتْ تريد الرُّشْدَ والإصْلاحَا
وتخطُّ للشَّعْبِ الكَريمِ طريقَهُ ... وتهيِّئُ الأفكارَ والأرْواحَا
قُلنَا: جميلٌ أن يكونَ لشَعْبنا ... صحُفٌ تحيلُ له الظَّلامَ صبَاحَا
وتُريهِ أن لَهُ مَصالِحُ طالما ... هُضِمتْ وحقاً في الأمُورِ صُراحَا
وتُريهِ أنّ العَصْرَ عصْرُ شُعوبِه ... هي لا سِواهَا تملكُ المفتاحَا
لكنَّ لي رأياً سَأعلِنُه على ... سَمْعِ الجهَاتِ لعلَّ فيه فلاحَا
هَلْ للصَّحافةِ عندَنا من خُطَّةٍ ... نمْشي عليها [بُكْرَةً وصَباحَا]
وهل الصَّحافةُ في الحمَى الممنوع لا ... نخْشَى عليها صَرْصَراً مجتاحَا
وهل الطريقُ أمامَها في مأمَنٍ ... أم لغَّمُوهُ أسنةً ورِماحَا
وإذا ادلهمَّ الأمْرُ واحتارَ النُّهى ... أترى الصحافةُ تملِكُ الإفصاحَا
أنا لستُ أدري، والذِي أدْريهِ: أنـ ... ـا غَارقُونَ مشاكلاً وجِراحَا
أنا لستُ أدري، والذي أدريه: أنـ ... ـا والطوَى في حنْدِسٍ نتلاحَى!
أنا لستُ أدري، والذي أدرِيه: أنـ ... ـا مُسْرفونَ تناحُراً وصِياحَا

أنا لستُ أدري، والذي أدريهِ: إمـ ـا جَـدَّ أمـرٌ خلتَنَـا أشـباحَا
نحيَى بـلا هَـدفٍ ونـصنَعُ بالقُـشو رِ تقـدُّماً ونُعَرقِـلُ الإصْـلاحَا
ونعـيشُ نجْهَـلُ مـا يـراد بـشَعْبنا فـشَلاً ذريعـاً أم يُـرادُ نجَاحَـا

❊ ❊ ❊

يا حَضْرَموتُ !

مع جفاء المربع، ونُبوِّ الدار، استبدّت به لواعج الشوق إلى مسقط الرأس ومراتع الصبا، في الوقت الذي تردّدت فيه أنباءٌ عن مؤامراتٍ تدبَّرُ، ومكَائِدُ تحاك، على حسابِ حضرموت ووَحدَةِ أبنائها، (نظمتْ في أواخرِ عهد الاستعمارِ البريطاني):

الخبر؛ ٢٠/ ٨/ ١٣٨١هـ:

صُـدِّي فـصدُّكِ منطـقٌ مَـرْدودُ ... ولأنـتِ أنـتِ القَـصدُ والمقـصُودُ

أنـتِ التـي لـولاك لم يُـشرِقْ لنـا ... أمَـلٌ ولا غنَّـى بـه غِرِّيـدُ

وعـلى دروبِ لقَـاكِ وحَّـدَنا هـوًى ... فيـه تَـساوَى طـالحٌ وسَـعيدُ

لك رُغمَ أنفِ الجدبِ كـم مـن بَيعَـةٍ ... قُطِعـت عـلى أعناقِنـا وعهُـودُ

ولك الحقـوقُ ونحـنُ مـن حفَّاظِهـا ... مهـما تتالـتْ أعـصُرٌ وعُهـودُ

أنّـى اتجهْنَـا في الـبلادِ حَنَـا عليـ ... ـنَا مـن خَيالـكِ وارفٌ ممـدُودُ

أمَّ البنـينَ النـازحينَ عـن الحمَـى ... يـا مـن خَـبرتِ البـينَ وهـو وليـدُ

أبنـاؤكِ الأدنُـونَ أخفـقَ جَـدُّهم ... ونبـت بهـم دارٌ وضـاقَت بِيـدُ

فمَـضوا إلى عَـرضِ الحيـاة كتائبـاً ... لم يُثـنِهم لغَـبٌ ولا تَـسهيدُ

يغـزُون شرقـاً في الـبلاد ومغرِبـاً ... ويـسابقُون الـريح وهـي شَرودُ

وينـازعون الأسْـدَ في أرزاقِهـا ... فـتغضُّ عَـنهم تـارةً وتحيـدُ

يحـــدوهمُ شـــوقٌ لتُربِـــكِ عَـــارمٌ ... ويحـــثّهم حَـــرَّ النّـــوى ليُعيـــدوا

شُغِلوا بحبِّـكِ عـن سـواه فبعـضُهم ... دَنِـــفٌ وآخـــرُ مبعَـــدٌ وشَريـــدُ

وبقُـوا عـلى ذِمَـم الهـوَى متجلِّـدٌ ... يخفِـــي لـــواعجَ حبِّـــه وعَميـــدُ

ومتـــيَّمٌ تـــسري بـــه أحلامُـــه ... لـــيلاً ويـــأبَى حظُّـــه المنكُـــودُ

ومعلـــلٌ بالوصـــلِ يَمـــضِي عمـــرُه ... والوصـــلُ يـــومَ حياتـــه الموعُـــودُ

فمتَـــى يبلَّـــلُ بـــالرجُوعِ أوامُهـــمْ ... ومتـــى ســـيطلُعُ فجـــرُكِ المـــشهودُ

ويعُـــمُّ في أرجـــاءِ وادينـــا الرخـــاءْ ... وتـــرُفُّ مـــن رَغَـــدٍ عليـــه بنـــودُ

ونهـــشُّ للّقيَـــا فيفـــرَحُ والـــدٌ ... ويطـــيرُ مـــن فـــرْط الـــسرورِ وليـــدُ

يا حَضرموتُ وأنت رِيُّ جموعِنـا الـ ... ـعَطْـشَى وأنـــتِ خيالُنـــا المنـــشودُ

يـــا حَـــضرموتُ وأنـــت في أذهَـــاننا ... حـــبٌّ نمَـــى لم تكتنِفْـــهُ حـــدودُ

يـــا حَـــضرموتُ وأنـــت لحـــنٌ خَالـــدٌ ... هزَجـــتْ بـــه أرواحُنـــا ونَـــشيدُ

بثَـــراكِ دُلِّهنـــا كـــما بِـــكِ دُلِّهـــوا ... مـــن قبـــلُ آبـــاءٌ لنـــا وجـــدودُ

والله لا يلـــوِي بنَـــا رغـــدُ المعيـــ ... ـشةِ عـن هـواكِ ولا العيـونُ الـسودُ

يا حضرموتُ وأصلُ (عادَ) وأرضُـهُ ... كَـذبُوا وقـالوا: لـيسَ منـك ثَمـودُ

قولـــوا لمـــن أفنَـــى الجهـــودَ مفرِّقـــاً ... هيهـــات يثمِـــرُ ذلـــك المجهُـــودُ

إلا الوبـــاءْ يـــأتي عـــلى آمالِـــه ... وعليـــه بالخُـــسْرِ المبـــين يعُـــودُ

قولُـــوا لمـــن ظـــنَّ الأمـــاني ســـهلةً ... إن الطريـــقَ أمامَـــه مـــسدُودُ

إنـــا هنـــا في وجـــهِ كـــلِّ مكيـــدةٍ ... متيقظُـــونَ ســـلاحُنا التَّوحيـــدُ

ولـــسوف نُحـــبِطُ مـــا تَـــآمرتُم بـــه ... ويـــضمُّ كـــلَّ دسيـــسةٍ أخـــدُودُ

ولسوف نعصِفُ قـادرين بجمعِكـم ... ولـــسوفَ يُهـــزمُ طـــامعٌ وحـــسُودُ

ڤـيـتُـو!!

بمناسبة قرار الحكومة القعيطية بحضرمَوت دخول أبناءِ اليمن والمحميّات إلى حضرموت إلا بتأشِيرة:

(فيتـــو) ســـنعلنها مـــدَوِّ ... يـــة مجلجلـــةً فَـــضِيحَة
(فيتـــو) نـــصمُّ بقَولهـــا ... سَمعَ الكسيحة والنَّطيحَـة
(فيتـــو) إلى حكَّـــامِ وا ... دِينـــا نقـــدِّمها نَـــصيحَةْ
ألغُـــوا قـــراراً قرمُزيـــ ... ـا واشطبوا هذي الفضيحَةْ
ألغُـــوه إنّـــا لا نطيـــقَ ... ســـماعَ أصـــواتٍ قبيحَـــةْ

* * *

أينَ العروبةُ في مخـاليفِ الـ ... ـــــسعيدةِ في الـــــيمنْ
مـن وحَّـدتْ بينـي وبـينَ ... تُرابِـــه سُـــنَنُ الـــزمنْ
والـــدينُ والتـــاريخُ والـــدَّ ... مُ والطبيعـــةُ والمحـــنْ
أضَـــعُ الحـــواجزَ دونَـــه ... طَوعَ الأوامـر مـن (عـدن)
لا واللّـــذِي بـــرأ العُـــرو ... بـــة لـــستُ مانعـــه ولـــنْ

* * *

لا ! بلْ سأفتحُ قبـلَ أبـوابي ... لـــهُ صَـــدراً وقلبَـــا

ولـــسوفَ أفـــرشُ دَربَـــهُ فُـــلاً وأزهـــاراً وعُـــشْبا
ولـــه أضـــحّي بـــالثّمين وأرتقـــي مـــا كـــانَ صَـــعبا
وأريـــــهِ أنَّـــــا أخـــــوةٌ بـــين الـــورَى سِـــلماً وحَرْبـــا
حتّـــى تظللنَـــا ســـوياً رايـــةٌ تهتـــزُّ عُجْبَـــا

* * *

ولـــيعلم البـــاغي المـــسَلَّـ ـــطُ أننـــا طـــلابُ وَحـــدَهْ
وبأننـــــا كنَّـــــا ولا زلنـــا لجمـــعِ الـــشمل جُنـــدَهْ
ســـــنُقيمها عربيـــــةً لبناتهـــا عـــدد وعـــدَهْ
مـــن صُـــنع أيـــدِينا بهـــا نلقَـــى أشـــقاءَ المـــودّهْ
في وَحـــدةٍ كُـــبرى تـــذ كّـــرُ روعـــةَ المـــاضي ومجـــدَهْ

* * *

الحضَارِمُ

في عام ١٩٥١م انتهت خِدماتُ الشيخِ سيفِ بن علي البوعلي، كسكرتيرٍ بحكومة المكلاّ، فطالبَ الشعبُ بسكرتير وطني يحلّ محله، ولكن الاستعمارَ البريطانيَّ رفضَه، وتعين الشيخ سعيد القدّال من السودان، سكرتيراً للدولة، وكانت جماهيرُ من الأمة قد خرجت إلى الشوارع بالعاصمة المكلا، واتجهت إلى حيث يعقدُ اجتماعُ تعيينِ السكرتير، فقوبلت بطلقَاتِ النار، وسقط منها عددٌ من القتلى والجرحى، وسُجِن آخرون، على رأسِهم الكاتب المعروف أحمد بن عمر بافقيه[1]:

يـا قَـومُ لا تتحَـضْرمُوا ... فالحَـضرميةُ مـأثم
وتَـسَودنُوا خـيرٌ لكـم ... إن كنـتمُ لم تعلمُـوا
وتهنَـدكُوا وتجلنَـزُوا ... وتـصَهْينوا مـا شـئتمُ
وتواكلُـوا وتخـاذلُوا ... أن شـئتم أن تكرمُـوا
وعـن الـسيادةِ والكـرَا ... مـةِ والحميـةِ فـأحجِمُوا
وعـلى الـسكوتِ إذا دعَـا ... داعِـي الـبلادِ فـصمِّمُوا
ودعُـوا الـسياسةَ إنهـا ... ملعونـةٌ لا تَـرحَمُ

---

(١) نشرت هذه القصيدة في مجلة النهضة العدنية. (الشاعر). وينظر للمزيد: كتاب «السيد أحمد عمر بافقيه، من رواد الصحافة العربية في القرن العشرين»: ص٢٥٥ وما بعدها.

وإذا ظلمـــتُم يـــا بَنـــي قَـــومي فـــلا تتظلمُـــوا
وارضَوا بما اختـارَت لكـم عقلاؤُكُـــم واســـتعلمُوا
وإلى المهـــاجرِ فـــاذهَبوا ولهولهَـــا فتجـــشّموا
جُوبوا البحارَ وكـلَّ صقـ ـــعٍ في البـسيطة يمِّمُـوا
وتجلّـــــدوا وتلبّـــــدُوا وعـلى المخـاطر فاقـدِمُوا
ثـــم اجمعُـــوا محـــصولَكم للغاصـــبينَ وقـــدِّموا
ودعُـوا الأجانـبَ في البـ ـــلادِ مسَيطرينَ وسلِّمُوا

❊ ❊ ❊

دفاعاً عن الإسلام والعروبة

نَشِيـــدٌ

يـــا أمَّتـــي يـــا مـــن حملْـــتِ إلى الـــورَى أســـمَى رِسَـــالهْ
ونـــشرتِ نُـــورَ الحـــقِّ يســـ ـطعُ ماحياً سحُبَ الضلالهْ
ورســـــمتِ للـــــدُّنيا دسَـــــا تِـــــيرَ المحبـــــةِ والعَدالـــــهْ
إنّـــــا عقَـــــدنَا العـــــزمَ أن نُحيِـــي تراثـــك في عجالـــهْ

* * *

بـــالعلمِ نفْـــتحُ كـــلَّ بـــابْ ونزيـــلُ آثـــارَ الـــصِّعابْ
ونَخُـــطُّ في لـــوحِ العُـــلا الأمجـادَ مـن نُـورِ الكِتـابْ

* * *

صَوتٌ مِنَ التَّاريخِ يَدْعُونَا بمكَّةَ والمدينَةْ
حَيْثُ المآثرُ والمفَاخِرُ والبطُـولاتُ المبينَـةْ

* * *

لبّيكَ يا دَاعي الهُدَى لبيكَ يا رَمْـزَ الفـدَا
لبيـــكَ إنّ دَرْبنَـــا أن نقتَفـــيْ محمَّـــدَا

* * *

تَحِيةٌ[١]

إلى الفيلسوفِ الإفرَنسي، الذي هداه الله للإيمان الأخ/ رجَاء جَارُودِي:

أبصرتَ نورَ الحقِّ يا جَارُودي ... فمشَيتَ تحتَ لوائِه المعقُودِ

ورعَتك من قِبَلِ السماءِ عنَايةٌ ... فنطقْتَ بالتهليلِ والتحميدِ

من بعد ليلٍ عشتَ فيه ورحْلةٍ ... محفوفةٍ بالهمِّ والتَّسْهيدِ

في دربها أفنيتَ عُمراً كاملاً ... وظَفِرْتَ من خَيراتها برَصيدِ

وعَبرتها تجتازُ دنْيا الشَّك للإ ... يمان والإنكار للتأييدِ

هي كالسفينةُ بين أمْواجٍ وأنتَ الر ... اكبُ الحيرانُ والإسلامُ كان الجودِي[٢]

يا حبّذا الإسلامُ من شَطٍّ به ... ترسُو سنينُ التائِه المفقُودِ

فيحطُّ في أرضِ الأمَانِ رحالَهُ ... ويفوزُ من عيشِ الرّضَا بمَزيدِ

قُل لي بأيّةِ لحظَةٍ رُوحيةٍ ... هبّتْ عليكَ نسائمُ التوحيدِ

فاستقبلتْها منكَ رُوحُ الوالهي ... نَ لما وراءَ العالَمِ المحدُودِ

وتفتّحتْ جنباتُ نفسِك للهدا ... يَةِ ترتَوي من نبعِها المورُودِ

أسلمتَ لا إسْلامَ تقليدٍ ولا ... طَمعٍ، ولا بالنَّار والبَارُودِ

ودعَاك للإيمانِ ما عانيتَه ... وبذلتَ من وقْتٍ ومن مجهُودِ

---

(١) نشرت بالملحق الثقافي بجريدة المدينة المنورة عدد ١١ تاريخ ٣٠/ ٦/ ١٤٠٣هـ.

(٢) هذا البيت طويل، يخالف وزن باقي القصيدة.

وتناهبتْـــكَ مـــذاهبٌ ومبَـــادئٌ ... برّاقـــةٌ فـــصَمَدْتَ أيَّ صُـــمُودِ

حتـى وصـلتَ إلى الحقيقـةِ فاغتبطْـ ... ـــتَ بهَـا ولـذْتَ بظِلِّهـا الممـدُودِ

(جـارودُ) مـا هَـذا التـآمُر ضِـدَّ ... دِيـنِ الله مـنْ مُتحامِـلٍ وجَحُـودِ

في الغَـربِ نسمعُ ضـجّةً حيّـى صَـدا ... هَـا الـشّرقُ بالتطبيـلِ والتّـصْعيدِ

وتجمّـعَ الـضّدانِ رغْـمَ عِـدَائهم ... فِي مَهْيـعِ التّجْـريح والتّنديـدِ

يتَـصايحُونَ ليطفئُـوا نُـورَ الإلـ ... ـــه فكُـلُّ كلـبٍ نَـابحٍ بوَصِـيدِ

ويجـدِّلونَ حبـالهم وعـصيّهُم ... بمكائِـدِ التّنـصِير والتّهويـدِ

حينـاً بتوزِيـعِ الهَـدايا والخِـدا ... عِ وتَـارةً بالـضّغطِ والتهدِيـدِ

هَيهـاتَ! فالإسْـلامُ أمنَـعُ جَانبـاً ... مـن بطـنِ جبّـارٍ وكَيـدِ حَقُـودِ

كـذَبُوا وقـالُوا إنّـه ضـدَّ التقـدّ ... مِ والنهـوضِ وضِـدَّ كـلِّ جديـدِ

هـو ضِـدُّ كـلِّ عقيـدةٍ مدخُولـةٍ ... ومواثِـقٍ مكذُوبـةٍ ووُعـودِ

هـو دعـوةُ الحـقِّ التـي فيهـا العِـلا ... جُ لمـشكلاتِ العَـالمِ المنكُـودِ

العلـمُ فيـه فريـضةٌ والمـالُ فيـه ... وسـيلةٌ للـصّالحِ المنـشُودِ

والحكـمُ فيـه عدالـةٌ تـسَعُ الـورَى ... لا فـرقَ بـين مُـسوَّد ومَـسُودِ

(جَـارُود) جـرِّدْ مـن يراعِـكَ صـارماً ... ردْعـاً لكـلِّ مكَـابرٍ وعَنيـدِ

وانـشُر لقومِـكَ يـا أخـي في الله قِـصّـ ... ـتكَ التـي حفلَـتْ بكُـلِّ مفيـدِ

فلعـلّ فـيهِم جَـاهلاً أو حَـائراً ... أو سَـائراً في شـارعِ مَـسدُودِ

ولعـلّ فـيهم مـن لـهُ قلـبٌ فيلـ ... ـقِي الـسّمعَ للتـذكيرِ غـير بعيـدِ

واشرحْ لهـم مـن معجـزاتِ الملّـ ... ـةِ الغَـراءِ مـا يُغنِـي عـن التّحديـدِ

واضرِبْ لهـم مـثلاً حيـاةَ محمّـدٍ ... فحياتُـه نُـورُ الليـالي الـسُّودِ

* * *

الـجَـزائـرُ

ثورة توّجها الاستقلالُ في العيد الأول لاستقلال الجزائر:

جهـادٌ مريـر بعـضُ ويلاتـه الحـرْبُ ... بـه انتـزعَ اسـتقلاله البطـلُ الـشعبُ
عـلى قمـم الأَوراسِ مـن أرض أمتـي ... مجـالٌ لعـشاقِ العـلى شَـيّقٌ خـصبُ
وآيـاتُ مجـدٍ خطَّهـا الـدمُ قانيـاً ... ونصرٌ حداهُ البذلُ والطّعنُ والضربُ
فيـا شـمسُ ردّي بالتحيـةِ لـلأولى ... أضاءُوا شمُوساً فوقَ مجـراكِ لا تخبُـو
وحـيِّ البطـولاتِ الخوالـدَ وافـضَحي ... ظلامَ الليالي واقـذِفي النـارَ يـا شُـهبُ
ويـا أرضُ قـصّي للعـوالمِ سـيرةَ الـ ... ـبطولات ممـا لا ولـنْ تحفـظَ الكتـبُ
ويـا موكـبَ التـاريخِ مَهـلاً فهاهُنـا ... صَـحائفُ أمجـادٍ ينـوءُ بهـا الركـبُ
ومـا هـيَ إلا ثَـورةٌ عربيـةٌ ... لها في دروبِ المجـد منطلـقٌ صـعبُ
أثـارَ شـظاياها وأذكَـى أُوارَهـا ... رجـالٌ عـلى نيـلِ المنَـى بالقنَـا شَـبُّوا
قـضَوا أمـرَهم في بُرهـةٍ وتعاهـدُوا ... على نهضةٍ يرضَى بها الـربُّ والعُـربُ
وقـالُوا عقـدنا العـزمَ إن ننقـذَ الحمَـى ... ونلهِبَهـا شـعواءَ يعنـو لهـا الغَـربُ
ونُلقـي عـلى المحتـلِّ درساً مذاقُـه الـ ... ـهزيمةُ والعـارُ الـذي مـا لـه طِـبُّ
يمينـاً بـأن تُمـسي الجزائـرُ حـرةً ... وأن لا يعيشَ اليوم في سـوحِها كلـبُ
وهُبـوا إلى سـاحِ الكفـاحِ قـوافلاً ... كـسِربٍ إلى العليـاءِ يتبعُـه سِربُ

بكـــل أبيٍّ بـــاليقين مُـــسلّحِ ... يطيبُ على حوضِ المنايا لـه الشُّربُ
وهاجت فَرنسا واستشاطتْ وسيّرتْ ... جحافلَ من أعدادها وجبَ الرعبُ
مـــزودةً حُـــبلى بكـــلِّ مـــدمِّر ... وكـلِّ سـلاح فاتـك الـداءِ مُنـصَبُّ
وأمِّـــر فيهـــا كـــلُّ علـــجٍ وحاقـــدٍ ... لئـيم وفقـدان الـشعور لـه دأبُ
فجاروا وسامُوا الناسَ خسفاً وطبقوا ... أساليبَ منها الخطفُ والنهبُ
إلى جانـــبِ الإفنـــاءِ ممـــا يعافُـــه ... ويمقتُ ذو قلبٍ ومن لا له قلبُ
وحـرقِ القُـرى حتـى تُـرى لعُيـونهم ... وما حملت وهـي بأيـدي البلى نهبُ
وفنَّـوا مـن التعـذيبِ كـلَّ طريقـةٍ ... يهونُ لديها الجلدُ والسَّحلُ والصلبُ
ومـا رحِمـوا شـيخاً تهـدّم جِـسمُه ... ولم ينجُ مـن تنكـيلِهم صبيةٌ زُغْبُ
يـساندُهم مـن قـادةِ الظلـمِ مَعـشرٌ ... ومن حلفـاءِ السُّوء يرفِـدُهم حزبُ
وظنّـوا بهـذا البطشِ والفتـكِ أنهـم ... سينهُون أعتَى ثـورةٍ خاضَـها شَعبُ
فـما وهَنـت يومـاً قواهـا ولا خَبـت ... لها جـذوةٌ أو نـالَ مـن عزمِهـا كربُ
وهيهـاتَ تخبـو نارُهـا وهـي كلَّـما ... تعالَى لهيبُ البغيِ واحتدمَ الخطبُ
تهـبُّ عليهـا نفحـةٌ مـن محمـدٍ ... يكـبَّر فيهـا المجدُ والآلُ والصحبُ
وظلت تضيءُ الدربَ في غَسق الدُّجَى ... وتكـشفه مهـما تكاثفـتِ السحبُ
وتـسطعُ حتـى تـوَّجَ النـصرُ هامَهـا ... ونالتْـهُ كـسباً لا يـضارعُه كَـسبُ
وأذعـنَ (دَيقُـولُ) لهـا وتضعـضعتْ ... فرنـسا وخـارتْ وانـزَوى جيـشُها
وأشرف الاسـتقلالُ تعلـوه رايـة ... حريٌّ بها إمّـا استخفَّ بهـا العُجْب
بنـاه أنـاسٌ للحيـاة كفـاحهُم ... وللموتِ في أكنـافهم منـزلٌ رحبُ
ونـالوه قَـسراً بـاهظَ القِـيم غاليـاً ... بمليـونَ ممـن يعـشقُ المـوتَ أو يربُـو

فيـا أيهـا الأحـرارُ مـن عـل نخلـة ... ويا من يظـن الظلـم مرتعـه خِـصْبُ
حلفـتُ بـأن النـصر ملـكُ مجاهـدٍ ... وللحـق سـيفٌ لا يكِـلُّ ولا ينبـو

* * *

يومُ العُروبةِ !

إلى ملوك ورؤساء الدول العربية، بمناسبة اجتماعهم التاريخي بالقاهرة، لبحث تحويل إسرائيل لمجرَى (نهر الأردن)؛ ١٣/ ١/ ٦٤م، بعد قطيعة بينهم دامت فترة غير قصيرة:

وصْـلُكُم بعـدَ أن يَعِـزَّ اللقـاءُ ... حلُـمٌ رحّبـتْ بـه العليـاءُ

ورنَـتْ نحـوَ العروبـةِ في شَـو ... قٍ وغنَّـت بـذكرِه الـصحراءُ

بُوركَـت دعـوةٌ وبُـورِكَ يـومٌ ... شَـعَّ بعـد القنـوطِ فيـه الرجـاءُ

وتلاقَـى مـن أمتـي كـلُّ قَـرمٍ ... مِـن سـناها في وجهـه سـيماءُ

فـاجعلوهُ يومـاً جَـديراً بلقيـا ... كـم عـلى جـوِّه يـرفُّ الإخَـاءُ

واجعلـوهُ بدايـةً لحيـاةٍ ... يرتَـضيها الآبـاءُ والأبنـاءُ

واقـبُروا ماضـياً بـه عـصفتْ رُو ... حُ التّجـافي وسَـادتِ الـشحناءُ

واسـتبدّت بنـا الخلاعـاتُ حتـى ... سَـخِرَ الـشامتونَ والـسُّفهاءُ

وغـدَونا أضـحوكةً كـلَّ يـومٍ ... مـن إذاعاتِنـا يُطـلُّ الغبـاءُ

نرسِـلُ القـولَ في الأثـيرِ جُزافـاً ... كـلُّ مـا فيـه منكـرٌ وهـراءُ

لـيس هـذا للمـشكلاتِ علاجـاً ... إنـما تلـكَ فتنـةٌ هوجَـاءُ

تـصطَلي نَارَهـا الـشعوبُ انهيـاراً ... وانـشقَاقاً ويكتَـوي الـزعماءُ

يـا بنـي أمّتِـي؛ ملوكـاً تـساعَوا ... يـوم هـبَّ النـدا، ويـا رؤسـاءُ

إنكـــم قـــوةٌ فإيـــاكمُ أن ... تتركوهَـا يـأتي عليهـا الفنـاءُ

إنكـم قُـوةٌ إذا مـا اسـتُغلّت ... ردتِ المعتدين مـن حيـثُ جـاءُوا

وحِّدُوا الصفَّ واجمِعُوا الأمرَ تأتي ... الأرضُ طَوعاً وتستجيبُ السماءُ

وحِّدُوا الصفَّ واجمعوا الأمر تنقَـا ... دُ لمـا تفرضُـونه الأقويـاءُ

وتعُـدْ عنـوةً إلـيكم فِلَسطينُ ... ويجلـو عـن أرضِـها البعَـداءُ

وتزيلـوا عـن جـيلكم ألـفَ عـارٍ ... ألحقتـه الهزيمـةُ النكـراءُ

في يديكُم مفاتِح النـصرِ إن شئتُم ... وواضـيعتا إذا لم تـشاءوا

❊ ❊ ❊

لا كنتُ منْ أمةٍ تحيَى بلا غَضَبِ!

من وحْي الواقعِ العربيِّ الأليمِ الذي أصبحت فيه (إسرائيلُ) تسرح وتروح في أرض وأجواء الوطن العربي، وتعتدي كما تشاء دون أن يحرك العربُ ساكناً خانعين خاضعين.

جيلُ الضياعِ وجيلُ الرقصِ والطَّربِ ... مِن أمَّتي مالذي أبقيتَ للعربِ

سلبتهم كلّما أوتُوه من شمَمٍ ... ومن إباءٍ ومن عزٍّ ومن حسَبِ

ورُحتَ تُوسِعُهُم ذُلاً ومسكنةً ... وفرقةً نارُها مشبوبةُ الحطبِ

جموعُنا تنشُد السلوَى وتطلبُها ... وإن هي امتنعتْ تشتدُّ في الطلبِ

وتَهدرُ العمر في إشباعِ رغبتها ... وتبذل المالَ أكياساً من الذهبِ

إذا شَدَت (أم كلثوم) بأغنيةٍ ... تمايل الشعبُ في وجدٍ وفي صَخبِ

وأن تراءتْ لهم (فَيروزُ) خلتَهم ... قد حرّروا القدسَ من أحضان مغتصِبِ

أما القياداتُ في أرجاءِ أمتِنَا ... فأمرُها عجبٌ يدعُو إلى عَجَبِ

يُلقِي العدوُّ عليها كلَّ شَارقةٍ ... درساً بلاغتُه لم تلفَ في الكتُبِ

فيعتدي كلما شاءَ الغرور له ... في كل ناحيةٍ في الموطنِ العربي

والقومُ في شغُلٍ عنه بأنفسهم ... وبالملذّاتِ والسلطان والنشَبِ

وبالعداوتِ فيما بينهم عصفَت ... بريحهم وأحالتهم إلى نصَبِ

أنتم أمامَ عدوٍّ كلكم هدفٌ ... يسعى لتحقيقه بالجدِّ والدأبِ

سلوا (العراق) سلوا (لبنان) عنه سلُوا ... (مصرَ) سلوا (بلدَ الإسْرا بخيرِ نبي)

شيوخُكم في تأسيهم ونسوتكم ... تحبّكم وصراخ الصبية الزغُبِ

حتى متى لم تحركُكم جرائمُه ... ولا تلامسُ فيكم نخوةً لأبي!

هل نحن من حجَرٍ صيغَتْ مشاعرُنا ... أم نحنُ مَوتى فلم نسمعْ ولم نُجبِ

كلاًّ! ولكنه حُبُّ الحياة دهى ... أخلاقَنا فانقلبنا شرَّ مُنقلَبِ

أُسْدٌ على بعضِنا أمّا أمامَ عِدا ... نَا فالقضيةُ والموضوعُ ذو شَغَبِ!

والاحتجاجاتُ فيها ألفُ متَّسعٍ ... وألفُ منعطفٍ يُفضي إلى الهرَبِ

جَلّ المصاب ووافتنا الخطوبُ فهَل ... من وثبةٍ يا بَني أمِّي وآلَ أبي

ألا نفوسٌ أبيّاتٌ تحسُّ ألا ... بقيةٌ من دمٍ يا أمةَ العربِ

تَحَيَنَ عرضُكِ مهتُوكٌ بلا غَضبٍ ... لا كنتُ من أمّةٍ تحيَى بلا غَضبِ

في كلِّ يومٍ لنا شكوَى نقدِّمها ... أسلوبُها قطعةٌ من رائعِ الأدبِ

ونملأُ الأرض أصواتاً وجعجعةً ... ونشْحنُ الجوَّ بالتهديدِ والخطَبِ

ونسألُ الناسَ أن يأتُوا لنجدَتنا ... وأن يخفُّوا لكشفِ الضر والكُربِ

ويبذلوا المالَ والأرواحَ من أجلِ أعْـ ... ـيُنِنا وأن يثأرُوا للسادة النجُبِ

ونكمِلُ الضجَّةَ الكبرَى بمؤتمرٍ ... نصوغُ فيه قراراتٍ من اللهَبِ

وينتهي الأمرُ إذ تبقَى قضيتُنا ... محفوظةً بين أكداسٍ من الكتُبِ

دعوا مفاهيمَ ليسَتْ من طبيعَتِنا ... يعافُها خلُقُ الإسلامِ والعربِ

ما بينَها أيها المزمِّلُونَ بها ... وبيننا منذُ بدءِ الخلقِ من نسَبِ

غريبةٌ هي عن أرضي وعن أفُقي ... مرفوضةٌ هي من لحمي ومن عَصبي

والغـربُ ! مـا الغـربُ إلا سِرُّ نكبتنـا ... وأصـلُ مـيلاد صِـهيونٍ بغَـير أبِ

دسـائسُ القـوم مـا انفكّـت تلاحِقُنـا ... بفطنـةٍ ولـسانٍ مـاكرٍ ذَرِب

ولا تـزالُ تمنّينـا وتخـدَعُنا ... في شـكلِ مـؤتمرٍ أو شَـخصِ منتـدَبِ

صُوموا وجوعُـوا دفاعـاً عـن كـرامتكم ... واخشوشنوا واسمعوا قولَ النَّبي العـرَبي

وواجهُـوا أمـرَكم بالـصِّدقِ والجـدِّ لا ... بـالفنِّ والجـبْنِ والتمويـهِ والكـذِبِ

وهيئُـوا واسـتعِدُّوا للعِـدا برجـا ... لٍ مـؤمنين وجـيشٍ قـادرٍ نجِـبِ

وحققُـوا وحـدةً (الله) غايتُهـا ... والعلـمُ عـدَّتُها والبـذلُ في النـوَبِ

أو لاَ ! سـنبقى نعـاني موقفـاً حرِجـاً ... صـعباً يجـرُّ لحـالٍ جـدَّ مـضطربِ

حتـى نفاجـأ في يَـوم بكارثـةٍ ... هوجـاءَ تتبـعُ قَطْـعَ الـرأسِ بالـذَّنبِ

* * *

حَريقُ المسجدِ الأقصَى[١]

أقدمت إسرائيلُ عام ١٩٦٩م، على إشعالِ النار في المسجد الأقصى المقدس، فاحترق بعضٌ منه:

ما بعد حَرقِ القُدسِ من مَطلبِ ... للخَصم إلا الحرمُ اليثربي
وبطنُ هذي الأرضِ خَيرٌ لنَا ... إن نحنُ لم نثأَرْ ولم نغضَبِ
إن نحنُ لم نقذفْ بِطاقَاتِنا ... إلى لظَى معترَكٍ مرعبِ
أيحرَقُ الأقصَى وأجيالُنا ... تنعُم بالمأكَلِ والمشرَبِ
أيحرقُ الأقصى ولم يحترقْ ... في ثورةٍ عاصفةِ الموكِبِ
ولا تميدُ الأرضُ هَولاً ولا ... يصطدِمُ الكَوكبُ بالكَوكَب!
هل خلتِ الدنيا من المسلمينَ؟ ... هَل عَقِمتْ أمُّ بنِي يعرُبِ؟
وأين منا ابنُ أبي طالبِ ... ينقضُّ كالصَّعقِ على مَرحَبِ
في كلِّ أسبُوع لنا خُطبةٌ ... بليغةُ الأسْلُوبِ والمأربِ
نشرحُ فيها من شِكَاياتِنا ... مشفوعةً بالكلم الطيِّبِ
ما لي وللسِّلم أغنِّي لَهُ ... بكلِّ لحنٍ رائع مُطرِبِ
ما لي وللسِّلم و(صَهْيونُ) في ... أحقادِهَا تحتلُّ مسرَى النَّبي
السِّلم!! ما السِّلمُ سوَى خُدعَةٍ ... في عَالم يحيَى بِلا مذهَبِ

---

(١) نشرت بجريدة الحياة اللبنانية.

لُبنَانُ!

بعد مَوقف الأمةِ العربيةِ السَّلبي مما حل ويحلّ بلبنان، من اعتداءات يهودية، جواً وأرضاً وبحراً، وحصاراً ودماراً واحتلالاً:

غَنُّوا على كلِّ لحنٍ وارقصُوا طرباً ... واستبدِلوا بالكفَاحِ اللهوَ واللعبَا

ولا تراعُوا ونامُوا ملءَ أعينِكم ... فلا شعوبَ تقاضِيكم ولا رُقَبَا

وليسَ (**لبنان**) تعنيكم قضيته ... ولا كأنَّ لكُم أماً به وأبَا

وليسَ فيه رَضيعٌ ماتَ من ظمأٍ ... ولا نساءٌ مضتْ صيحاتُهن هَبَا

ولا شيوخُ قضوا صَرعى منازلِهم ... أنينُهم ينطقُ الأحجارَ والخشَبا

ولا مساجدَ يعلو في منائرها ... نورٌ تضاءلَ في أيامكم وخَبَا

وهل حسبتمْ بأن الخصْمَ في شغُلٍ ... عنكم وأنّ لكم من بطشه هرَبا

كلا فمهما توانيتم سيأخذكُم ... شعباً مقطعةً أوصالُه إرَبا

اليومَ (**بيروتُ**) في أسْرِ العِدَى وغَداً ... (**دمشقُ**) إني أراها يومُها اقتَربا

وليس (**بغدادُ**) عن **صهيونَ** نائيةٌ ... وفي مفاعِلِها الذريِّ أيُّ نَبا[1]

ولا (**الرياضُ**) ولا (**مِصرُ**) بناجيةٍ ... ولا (**الرباطُ**) و(**عَمّانٌ**) و(**أرضُ سَبا**)

فكلكم هدفٌ للخَصْم يَرقبُه ... حتى إذا نال منه فرصةً وثَبا

---

(١) إشارة إلى غارة إسرائيل على المفاعل النووي العراقي، ببغداد. (الشاعر).

ثُوبوا إلى رُشدِكم يا قومُ واتّعظوا ... وحسبكُم ما دهَى (بيروت) منقلَبا

فقد تداعَى عليها جوُّ فُرقَتكم ... ناراً وجرّعها الويلاتِ والكُرَبا

حكمتم الخلفَ والبغضَا لبعضكمُ ... بعْضاً وقطّعتم الأرحامَ والنَّسبا

يا قادةَ العُرب ماذا عَن مواقِفكُم ... يقولُ من قرأ التاريخَ أو كتبا؟

مهازلٌ ودعاياتٌ مضلِّلةٌ ... تصوِّرُ الجهلَ علماً، والرضَا غضَبا

والفنَّ والزُّورَ والبغضاءَ تنشرُها ... حقائقاً كشُعاعِ الشمسِ منسكبا

والجبنُ فينا بطولاتٌ مخلَّدةٌ ... ونارُ ذلٍّ نسمّيها (نسيمَ صَبا)

أما هزائمُنا في كلِّ معترَكٍ ... فهي انتصارٌ على هامَاتنا كُتبا

فهل أُلامُ إذا ما أبْنَتْ ونَعتْ ... يَراعتي فيكمُ الإسلامَ والعرَبا!

* * *

ألا هَيا إلى القِمَّةْ!!

قيلتْ بمناسبة انعقادِ «**المؤتمر الإسلامي الثالث**» على مستوى القمة، والتي ابتدأت جلستُه الأولى بمكة المكرمة وفي الحرم المكي الشريف بالذات، ثم واصل بقيةَ جلسَاته بالطائف، من المملكة العربية السعودية:

ألا هيَّـــا إلى القِمَّـــةْ ... نحيِّـــي قـــادةَ الأمَّـــةْ
نحيِّـــي ســـادةً نجبَـــا ... ومـــسئوليةً ضـــخمهْ
ونفـــرِشُ دربَهـــم وردا ... ونمـــلأُ جـــوَّهُم بَـــسمهْ!
فـــأهلاً في حمَـــى البيـــتِ ... وفي متنَـــزَّلِ الرحْمـــةْ
وأهـــلاً في رُبَـــى النُّـــورِ ... وفي مـــستودِعِ الحكمَـــهْ
هنـــا الحجْـــرُ هنـــا الـــرُّكنُ ... الّـــذي مـــا خـــابَ مـــن أمَّـــهْ
هُنـــا العـــزةُ والقـــدْرةْ ... هنـــا المنعَـــةُ والعِـــصْمَهْ
هُنا الكعبـةُ مـن قمَـمِ الـــ ... ـــعُلَى والمجـــدُ في القِمّـــهْ
هُنـــا تَـــاريخكُم وتُـــرا ... ثُ أمَّـــتكُم ومـــا ضـــمّهْ
قِفُـــوا بجوارِهَـــا وخـــذُوا ... وأعطُـــوا العهـــدَ والذمّـــهْ
وطوفُـــوا حَولهـــا واستلـــ ... ـــهِمُوا الأمجـــادَ والعظمـــةْ
قفُـــوا وتـــذكّروا الأقـــصَى ... بقبـــضةِ تلكُـــم الطّغمَـــةْ

أسِـــيرٌ ليلـــهُ خَـــوفٌ ... وضَـــوءُ نهـــارِه عُتمَـــةْ
تناوَشُـــه اليهـــودُ وروّعـــو ... هُ ودنّـــــسُوا حَرَمَـــــهْ
لهـــم في كُـــلِّ شَـــارقةٍ ... عـــلى أنحائِـــه هَجْمـــةْ
ومـــنهُم مـــن يحرّقُـــهُ ... ومنهم مـن يَـرى هَدمـهْ!
وهـــذي أمَّـــة الإســـلامِ ... تحيـــى الظلـــمَ والظلمـــةْ
إلـــيكم شـــدّتِ الأنظـــا ... رَ مـــن أقطارِهـــا الجمّـــةْ
تنـــاديكم بأصـــواتٍ ... علَـــتْ نبَراتِهـــا الـــصّدمةْ
تناشِـــدُكم بـــربِّ البيـــتِ ... أن لا تقطعُـــوا رَحِمَـــهْ
تناشـــدُكم أن اتّـــحِدوا ... وسُـــدُّوا هـــذه الثلمَـــهْ
تناشـــدُكم خـــذُوا القـــرآنَ ... دُســـتوراً وعُـــوا كَلِمَـــهْ
تـــسائلكُم عـــن الأفغـــانِ ... شَـــعبٍ مزَّقُـــوا لحمـــهْ
ومـــا قـــدمتُموه لهـــا ... مـــن النّـــصرَة والخدمَـــةْ
وعن (حربِ الخليج) وإنها ... في جيـــدِكُم وَصْـــمهْ
وقتـــلِ أخٍ آخـــاه بنَـــا ... رِهـــا وأبـــاهُ أو أمّـــهْ
دسـائسُ حاكَهـا الأعـداءْ ... وأصـــبحنا لهـــا طُعمَـــهْ
وأنـــتمْ بهـــمُ أدرَى! ... وأطماعِهـــمُ الجمّـــهْ
فقـــد جـــربتمُ الغـــربَ ... وذقـــتُم سَـــادتي سُـــمّهْ
ومـــا برحـــتْ مكائـــدُه ... تمـــارس ضرنـــا جرمـــهْ
وفي العـــمِّ (ســـامَ) مِـــرآةٌ ... نَـــرى في وجهِهَـــا ظُلمَـــهْ
ويمّـــم بعـــضُنا الـــشّرقَ ... يبـــثُّ بـــساحِه همّـــهْ

سـبَتْه منـه ألحـانٌ وصـوتٌ سـاحرُ النغمَـهْ
يقـول مـع الـضّعيف: أنـا أخاصِـم دونـه خَـصمَهْ
وأحميـهِ وأنـصرُه وأبـذُلُ مخلِـصاً دعمَـهْ
وفي الأفغـانِ كارثـةٌ تكـذِّبُ في الـورَى زعْمَـهْ
تلاقَـوا يـا بنـي قَـومي عـلى البأسـاءِ والنعمَـهْ
ولـمُّوا مـا تفـرقَ إنـ ـما أمّـتكم أمَّـهْ
وهبُّـوا للعـدوِّ بكـلِّ أرضٍ وارفـضُوا سِـلمَهْ
وضـحُّوا في سـبيلِ الله بالتّـضيحة الـضَّخمَهْ
وسِـيروا في مـسيراتٍ تـضيقُ بكـم مـن الزَّحمَـهْ
ملايينـاً ملايينـاً تمجِّـدُ بـارئَ النِّـسمهْ
مهللـةً مكَـبِّرةً لـه ذاكـرةٌ اسـمَهْ
إلى القُدسِ الشّريفِ وعنـ ـدَها تنفـرِجُ الغُمّـهْ
ويـصبح شـعبُ صـهيون وقـد حلـتْ بـه النقمَـهْ
وبـانَ عـلى حقيقتِـه ذلـيلاً لابـساً حجمَـهْ
وأمـستْ أرضُـنا قـبراً يـواري تربُهـا جِـسمَهْ
فـإن لم تفعلُـوا، وتقـا بلـوا اللطمَـةَ باللطمَـهْ
سـيأتي بعـدكُم جِيـلٌ ويُـصدِرُ ضِـدَّكُم حُكمَـهْ

* * *

سَنخُوضُهَا!

على إثْر قرارتِ «مؤتمر القمة العربي» المنعقد بالقاهرة ١٣/ ١/ ٦٤م، لصد تحويل إسرائيل المجرى نهر الأردن هددت وزارة الخارجية الأمريكية باستعمال القوة في حالة حدوث اشتباك مسلح بين العرب وإسرائيل:

سنخوضُها شعواءَ رُغـ ـمَ أميريكا سنخوضُها
ودِماؤُنا ضِدَّ العَدوِّ رخيصةً سنُرِيقها
وجحيمُهم مهما تلظّتْ لنْ نَخافَ لهيبَها
ولسوف نفنَى أو نزيلَ عَنِ الدِّيارِ غريبَها

* * *

سنهُبُّ للثاراتِ صوبَ (اللُّدِّ) أو (يافا) مَواكِبْ
ونحيطُ (صَهيُونَ) الدَّخِيلةَ بالفَناءْ من كُلِّ جانِبْ
ونذيقُها الضَّرباتِ إن شاءتْ دُرُوساً أو مصَائبْ
ونزيل هذي اللعنةَ السـ ـوداءَ من دُنيا الأعارِبْ

* * *

يا ابنَ العروبةِ لم يعُدْ للصَّمتِ وقتٌ أو مجالْ
فاشْهِرْ سِلاحَك وامضِ مُنـ ـدَفِعاً إلى تلكَ التلالْ

واضربْ فإنّـــك قُـــوةٌ خُلقَـتْ لتحقيـقِ المحَـالْ
لتحيـلَ هـذا الواقـعَ المـ ـشئُومَ ضربـاً مـن خيـالْ

* * *

ولـسوفَ تـشهدُ حيـثُما تمضِي جمـوعُ اللاجئِـينْ
بين الكهوفِ وفي العَراءِ مـشرَّدينَ مُهلهَلِـينْ
يـستقبلونكَ بالـدُّمُوعِ وبـالأنينِ وبـالحنينْ
ويناشـدُونكَ بالإخـاءِ متَى سنصبحُ عَائِـدينْ؟

* * *

سَـتعُبُّ أنـتَ بكأسِـهم إن لم تَـرُدَّ الاعتبـارْ
وتعيدُهم بعدَ (اللجُوءِ) مكـرَّمين إلى الـديارْ
وتعيـدُ سَـاطِعَ بـسْمَةٍ خفتَـتْ بـأفواهِ الـصِّغارْ
سـتعبُّها إن لم تُخـضْ من أجلِهمْ شرَفَ الغِمارْ

* * *

زلزال اليمن[١]

أثار الزلزالُ المدمرُ في منطقة (ذَمَار) باليمن العزيز، كوامِنَ الشاعرِ ولواعجَه، وقد سجّل هذه الأحاسيسَ في القصيدة التالية، التي يقدمُها إلى أبناء اليمن الكرام:

دُكّـت (ذَمـارُ) وهـدّها الزلـزالُ ... وتجاذبَـتْ أنحاءَهـا الأهـوالُ

في لحظـة دهَـم القـضاءُ ربُوعَهـا ... فانهـارَ منبَـسطٌ بهـا وتـلالُ

فالأرضُ من جزعٍ تميدُ وتنظرُ الآ ... فَـاقَ رعـبٌ والـسماءُ وبَـالُ

وتصدَعَتْ شُمُّ الجبالِ، فمَـن رَأى ... جَـبلاً يـسيرُ وقمّـةً تنهـالُ؟

وعدَتْ عليها العادياتُ فأصبحَت ... خـبراً روتـهُ قـصيدةٌ ومقَـالُ

سُـدَّت منافـذُها فـما مـن مخـرجٍ ... منهَـا ولا حِـلٌ ولا تَرحَـالُ

وسـفوحُها الخـضرا تحـوَّلَ لونُهـا ... قَـانٍ عليـه مـن الـدماءِ ظِـلالُ

وخبَا النهارُ بهـا فلـيسَ الـصبحُ في ... أرجَائهـا صُـبحاً ولا الآصـالُ

كـم أسرةٍ كانـتْ هنـاك سـعيدةً ... يحنُـو عليهـا الحـبُّ والإقبـالُ

فـإذا سـعادتُها ظـلامٌ دامِـسٌ ... وشَـقاوةٌ وتعاسـةٌ ونكَـالُ

وجميلـةٍ كملـت محاسـنُها فلَـم ... يـشفَع لهـا في الحادثـاتِ جمـالُ

ولـرُبَّ شـيخٍ أو شـيوخٍ ركَّـعٍ ... يكـسوهُم الإخبـات والإجـلالُ

---

(١) نشرت بجريدة المدينة بجدة عدد (٥٧٧٧)، بتاريخ: ٢/ ٤/ ١٤٠٣ هـ.

ولـربَّ أطفـالٍ هنـاك عـلى مَـلا ... عِـبِهم ومـا أدراكَ مـا الأطفَـالُ
وتقاطرت زُمَر الـشبابِ عـلى مَعـا ... هـدِ علمِهِـم تحـدُوهم الآمـالُ
فـإذا الجميـعُ وقَـدْ تنـاثَر جمعُهـم ... وإذا الـديارُ: حجـارةٌ ورمـالُ
وإذا ألـوفُ اللاجئـينَ تراكـضَتْ ... ذُعْـراً وفي كـلِّ اتجـاهٍ مَـالُوا
كفلُـول جَـيشٍ هـاربٍ لا يـستقِرُّ ... لـهُ قَـرارٌ أو يقيـهِ مجـالُ
صبراً بني اليمنِ العزيـزِ فكـلُّ مخـ ... ـلوقاتِ عالمَنَـا لهـا آجَـالُ
هـذا قـضاءُ الله في ملكُوتِـه ... ولـهُ يـردُّ العلـمُ والأعـمالُ
فتوجّهُـوا نحـو البنَـا وأمَـامكم ... مـن عَـونِ ربِّ العـالمينَ مجـالُ
والعـزمُ والإيـمانُ مـن أخلاقِكُـم ... والجـدُّ فـيكُم شـيمةٌ وخِـلالُ
ولكـم سـجلٌّ في الكفـاحِ مـشرِّفٌ ... ومواقـفٌ تعنُـو لهـا الأبطـالُ
أتُـرى أعـزّيكُم؟ وكيـفَ؟ وأنـتمُ ... الأهلُـون والأعـمامُ والأخْـوالُ
واللهُ والإسـلامُ وحَّـدَ أمرَنـا ... ومحمَّـدٌ وصِـحابُه والآلُ
يا (فهدُ) أرضيتَ المروءةَ والنّدى ... وتقـدمتْ أقوالَـك الأفعـالُ
وعرفـتَ للقُرْبَـى مكانتَهـا فـسا ... لَ العـونُ دفّاقـاً لـه إرقَـالُ
وتتالـتِ النجـداتُ منـكَ عظيمـة ... فـالبرُّ يزحَـفٍ والـسما أرتـالُ
وتعالت الدعواتُ تمحَضُكَ الثناءْ ... ومضَت بِحُسنِ صنيعكَ الأمثالُ
ولأنـتمُ رمـزٌ لدَولـةِ عَـصرِنَا ... ولكـلِّ عَـصرٍ دولـةٌ ورجَـالُ

* * *

اجتماعیات

تَـهنئةٌ

قُدِّمتْ إلى فضيلة العلامة المفكر، والأديب الشاعر، **السيد حامد بن أبي بكر المحضار**، عقبَ عودته إلى جدة من لندن للعلاج:

قدمتَ قُـدومَ الغيـثِ يـا ابـنَ أبي بكـرِ ... فـأَوْرقَ في أحيائِنـا كُـلُّ مُغْـبَرِّ

وعُـدتَ إلينـا سَـالماً بعـدَ وعْكَـةٍ ... رأينَـا لظَاهـا في جَوانحِنـا يَـسْرِي

وتلـكَ لعَمْـري نعمـةٌ جـلَّ شَـأنُها ... نقابلُهـا بالحمـدُ للهِ والـشكرِ

ألم ترهـا قـد ضَـلّلتنا سـماؤُها ... وقـد غمرتنـا بالـسّعادة والبِـشْرِ

ودونـكَ مـن شَرقِ الـبلادِ وغَربهـا ... وفـودُ التهـاني والوفَـا سيلها يجرِي

تعـبّر عـن أفراحِهـا واغتباطِهـا ... وتوليكَ من إخلاصِها غيرَ ما تدري

شـهورٌ مـضَتْ ذُقنـا بهَـا ألم النـوَى ... وذلـكَ أمـرٌ دونَـه لَوعـةُ الهجـرِ

وعِـشنا فَراغـاً واسِـعاً لا يـسدّه ... سواكَ وهَل تُغني السّواقي عـن البحْـرِ

أقِـمْ بيننـا إن البِعَـادَ أمـضّنا ... ودُم سـالماً للعلـمِ والفكْـرِ والـذّكرِ

وعِـشْ في نَواحيهـا مَنـاراً لحجّـةٍ ... ونسمَعُ مـا يـشفي العليـلَ مـن الـضُّرِّ

وحَـبراً علـيماً ينثـر الـدرَّ غاليـاً ... وذا خـبرةٍ بالنـاسِ والـدّهْرِ والعـصْرِ

بـصيراً بأسـبابِ البيـانِ إذا انـبرَى ... تـدفّق كـاليُنبوعِ وانـسابَ كـالنّهرِ

يفـيضُ عـلى رُوّادِه مـن فهُومِـه ... مـآثرَ شَـتّى لا تقـوّمُ بـالتِّبرِ

تفـردَ بالإقنـاعِ في كلماتِـه ... وبالحجّـةِ المـثْلى وبـالمنطِق الـسِّحري

أقِمْ بيننا إنّا على ما عَهدتَنا ... وإنا وإياكم لكَالنّبتِ والقَطْرِ

وقصَّ علينا ما لقيتَ بـ(لندَن) ... وشاهدتَه فيها بأسْلوبك المغرِي

وحدّث عن الغَربِ العتيدِ ونَهضةٍ ... تسيَّر بالصاروخِ والنفطِ والذَّرّ

قواعدُها بالعلمِ شِيدتْ وبالحجَى ... وبالكرِّ في سَاحِ الحياةِ وبالفَرّ

وكيف ترى الأحداثِ تجري حِيالَنا ... تجاذبُنَا بالمدِّ حيناً وبالجزرِ

وماذا عن (القُدسِ الشّريف) وأهله ... وماذا عنِ (السّادات) والموقفِ المصْري

وعَن (آيةِ الله الخمَيني) وثَورةٍ ... أصابتْ أساطينَ السياسةِ بالذُّعرِ

تحدّى بها الطغيانَ والبغْيَ من علَى ... مُصَلاّه حتى أذعنتْ قَادةُ الشَّرّ

* * *

شاعرُ الثّقَلينِ!

جمعَت الموهبةُ الشعرية بين الشاعرَين المبدعَين عبدالمحسن حلّيت مسلّم، وأحمد بن علي بافقيه، الذي خصّ الأربعاء بهذه الأبياتِ اللطيفة معاتباً بها صديقه «الحلّيت» على سبيل الدُّعابة، حيث وعدَه بزيارته أكثرَ من مرةٍ ولكنّ ظرَوفه على ما يبدو لم تمكنه من ذلك:

يـا شَـاعرَ الثقلَـينِ ... عملتَهـا مـرَّتينِ
وإن غفرْنَـا لأوْلى ... فـلا نطيـقُ اثنتـينِ
جئـتم لجُـدَّة قَـبْلا ... وبـتُّمُ ليلتـينِ
علمْـتُ ذلـك عـنكُم ... من صَاحبِ الطَّرفينِ
من السليمانِ مـن هُـو ... في النقلِ عنكم جُهيني
ومـن يعـيرُ القَـوافي ... أذنَـينِ مُـرهِفَتينِ
واليـومَ أقبلـتَ تبـدُو ... مبخـتَرَ الجـانِبَينِ
وكنتَ نجْـمَ احتفَـالٍ ... ومـلءَ سـمْعٍ وعَـين
وكنـت تختـالُ بالـصَّا ... عِ مثلَـهُ صَـاعين
وتُنـشِدُ الـشِّعرَ ينـسَا ... بُ معرَبـاً وحُمَينـي
وتُطـرِبُ النـاسَ منـه ... بالبيـتِ والبيتَـينِ

وكان حظّي كما شئـ ـتُموهُ صِفْرَ اليدَين
فلم يصلني تلكُسٌ يفيدُ في سَطْرَين
بأنكُم عَن قَريبٍ تأتون يَا «بعْدَ عَينِي»
كلاّ! ولم تخبروني بذاكَ في كلْمَتين
وعندكُم يا صَديقي لهاتفِي «رقمَين»
فلا وربكَ لا يسْـ ـتوي وصالٌ ببَين
ولا عيانٌ بوصْفٍ ولا عطاءٌ بدَينِ
لسوفَ أشكُوكَ يوماً «لنَدْوةِ الإثنين»
شكوًى يظِلُّ صَداها يرِنُّ في الخافِقَينِ
وسوفَ أجفُو القوافي وكلَّ ما كان بَيني
وبينَها من صِلاتٍ قويةِ السَّاعدينِ
وسوف أرْجعُ عنها أرضَى بخفَّي حُنَينِ!

❊ ❊ ❊

لحيةُ أبي حاتم!

لحيـــةُ سَـــامي وأبي حَـــاتمِ ... تقـصُر أحيانـاً وحينـاً تطُـولْ
فلـــم تكَـــدْ تبـــدو لنـــا كثَّـــةً ... تجتذبُ الأنظـارَ حتّـى تـزولْ
فـــلا نـــرَى غـــير خيـــالٍ بهـــا ... أو شعراتٍ قد عَراها الـذُّبولْ
فيـــا خلـــيليَّ اعـــذُراني فمِـــنْ ... طبيعتي الجهرُ وحبُّ الفضُولْ
ولي بكُـــم في مـــذهبي أسْـــوةٌ ... ولي على قَـولي شـهودٌ عُـدُولْ

* * *

تـهنئةٌ

تهنئة للصديق الكريم حسين أحمد بن راجح[١] بمناسبة عقد قرانه:

جـادَتْ علينَـا وحيَّتنـا ليالِينَـا ... ورفْـرفَ الـسَّعْدُ في أنحَـاءِ نادينَـا
وأقبلتْ سَـاجعاتُ الطَّـير في وَلَـهٍ ... بكُـلِّ لحـنٍ وأنغَـامٍ تحيِّينـا
والجـوُّ يعبِـقُ بالأنـسَامِ عَـاطرَةً ... وَرْداً وفُـلاًّ وريحانـاً ونَـسْرينا
ونحنُ من فرَحِ الأحباب في فَـرحٍ ... فقـد تحقَّـق مـا شَـاءُوا ومـا شِـينا
جئنا نحثُّ الخطَى سعياً على عجلٍ ... ولـو قـدَرْنا عـلى هَاماتنـا جِينـا
نـشاركُ الـسيدَ المفـضَال بهْجتَـه ... حسينُ مـن كَمُلـتْ أخلاقُـه فينـا
يا ليلةً جمعَت خيرَ الأصولِ وضمّـ ... ـت خـيرَ رهْـطٍ أخـلاءً محبِّينـا
من آل راجِحَ من أوتُوا ومن سَلفُوا ... مراتباً حوتِ الإخـلاصَ والـدِّينا
بـذاك يـشهَدُ بيـتُ الله مـن زمَـنٍ ... ويشهدُ النـاسُ، أهـلاً أو مُقيمِينـا

* * *

---

(١) من أهل مكة المكرمة، تجمعه بالشاعر صلة قرابة.

بين الخبَرِ والعيانِ!

لبنانُ قالُوا: حَبـاكِ الحسْنِ منزلـةً ... حفّتْ بها ورعَتْهَا الأنجم الزُهُرُ
وقلّـدتْكِ يـدُ الإبـداعِ أَسْـورَةً ... مـن المفَـاتِن مـن أصْـدافهَا الـدُّرَرُ
فجئتُ ساحَكِ مبهُـوراً بـما حملَـتْ ... عنـكِ الأسـاطيرُ أو وافَى بـه الخـبَرُ
فكنتِ أبدَعَ من وصْفٍ سمعتُ بِـه ... وكنـتِ أجمـلَ ممـا كنـتُ أنتظِـرُ

عالية؛ سبتمبر ١٩٦١م.

* * *

إلى الصديقِ بَاريَّانْ

إلى الصديق الشيخ سعيد عمر باريان[١]:

أَسَــعيدُ إنَّــكَ فاضــلٌ وإذا انتقـدْتَ فأنـتَ أهْـلُ
لله درُّكَ مـــن فتًـــى عَشِقَ الفَضيلَةَ وهو طِفْـلُ

❊ ❊ ❊

(١) تاجر من سكان جدة، عمل أبياتا حول موضوع محاضرة أدبية عنوانها: «من هو الأديب؟» ألقاها الأستاذ الكبير محمد حسين زيدان في أحد النوادي الأدبية، فقدم باريان مشاركته التي أثارت إعجاب الشاعر بافقيه فكتب هذين البيتين، مع الشيخ محمد بافضل.

وَارِثُ السِّر

ألقيَتْ بين يدَي الداعيةِ الإسلاميِّ الكبير، **السيدِ عبد القادر بن أحمد السقاف:**

إن يسبِقُوني إلى سَاحاتِ فَضلكمُ ... فنيّتي ولسانُ الحالِ يشفعُ لي

ولستُ أنكرُ أن السبقَ مفخَرةٌ ... وإن شأوَ ذويه مضربُ المثَلِ

هم يركبُونَ متونَ الطائراتِ متَى ... شاءوا وأقطعُ أسفاري على جَمَلِ

وينطحونَ رقِيقَ الشِّعرِ مُرْتجلاً ... سَهلاً وأنحتُ أبياتِي على مهَلِ

خُذني فديتُكَ وامنحنِي محبّتكم ... يا وارثَ السِّر عن آبائِه الأولِ

فقدْ أحاطتْ بي الزّلاتُ واتَّسعت ... مخاوِفي فهي من خَلفي ومن قِبلي

أقولُ قولاً ولا أعدُو مقَالتَه ... أستغفرُ الله من قولٍ بلا عَمَلِ

ضاعتْ عليّ درُوبي وهيَ واضحةٌ ... وطالَ ليلي وضَاقتْ دونه حِيلي

وراودتْني ذنُوبي فانحنَيتُ لها ... وها هيَ اليومَ عِبءٌ غيرُ محتَمَلِ

فجئتُ ساحَكَ أبغي من نداك قِرَى ... ومن دعائِك ما أمحُو به خَطَلي

ففي حماكَ يرَى العافُونَ بغيَتهم ... ويظفَرُ الطالبُ الحيرانُ بالأمَلِ

وفي عُلاكَ يكونُ القولُ ذا سعَة ... وفيه خيرُ مَجالاتٍ لمحتفِلِ

حَسبُ القوافي ارتياداً في رحابكُم ... وحَسْبُ من شاءَ تحليقاً على عَجَلِ

ليشهدَ الحسْنُ في أسمَى مظاهرِه ... مكلّلاً جنباتِ السهلِ والجبَلِ

وينظـرُ المُثـلَ العليَـا مجـسّدةً ... والعلمَ والفضلَ والأخلاقَ في رجُلِ

دعْني مع الفَضلِ إني لي به وَلَعٌ ... ولي ميـولٌ وأشـواقٌ إليـه ولي

كَم في مصلّى هواهُ بتُّ معتكِفاً ... وكم نسَجتُ له ثوباً من الغَزلِ

وكـم تغنيـتُ نَـشواناً بفتنتِـه ... أردّدُ اللحنَ بعدَ اللحنِ في جَذلِ

مالي وللناس إن جاءوا وإن ذهبُوا ... مـالي وللعَـذلِ إني عنهُ في شـغُلِ

إني بحَـضرة مهـديٍّ وداعيـةٍ ... يدعُو إلى صالحِ الأعمالِ والسُبلِ

أقوالُـه مـن كتـابِ الله مرجعُهـا ... ومـن تعـاليمِ طـه سـيدِ الرسُـلِ

ترَى الجموعَ لديهِ وهو من سعةٍ ... يسخُو عليها بلا مَنٍّ ولا عِلَلِ

الكوثرُ العَذبُ يروي كلَّ ذي ظمأٍ ... إذا تكلـمَ أو كالعَـارضِ الهطِـلِ

في نُطقه من حَديثِ المصطفَى قبسٌ ... ومـن بيـانِ أمـيرِ المـؤمنينَ عـلي

يلقِي الأحاديثَ في سرٍّ ويرسِلُها ... عَفـواً فتأخـذُ بالألبـابِ والمقـلِ

ويسمعُ الناسَ من وعظٍ ومِن حِكَمٍ ... بليغـةٍ تنقـذُ الغَـاوي مـن الزلَـلِ

ومـن مخاطبـةٍ تغـري، وفلـسَفةٍ ... تَسبي، وصُوفِية تـشفي مـن العلَـلِ

فينثُـون ثُـمالَى بالـسّماعِ لهَـا ... فهل أتاكَ حـديثُ السامعِ الثمِـلِ!

يا صاحبَ الطالعِ الميمونِ مَعذرةً ... لا المزنُ مُزني ولا الأنغامُ من زجَلي

شـمائلٌ علُويـاتٌ عُرِفْـتَ بهـا ... وبـسطةٌ في مجـالِ العلـم والعمـلِ

هي التي أنطقتْ وهي التي صَنعتْ ... شِـعري ولا نَـاقتي فيـه ولا جَمـلي

* * *

زَينُ المحَافلِ

قُدِّمت إلى العلاّمة الصالحِ، الداعية **السيد عبد القادر بن أحمد السقاف:**

مقامـكَ أسـمَى مـن محاولَـةِ الأعْـدا ... وأرفـعُ ممـا ظـنّ حاسُـدكُم بَنْـدا

وحظّـك موفـورٌ ومجْـدُكَ بـاذخٌ ... تـصُوغُ المعـالي كـلَّ يـومٍ لـه عِقْـدا

فـماذَا عـسَاهُ نـاطحُ الـصّخرِ بالغـاً ... وهـلْ لمياهِ النهـرِ والبحْـرِ أن تـصْدَا

أبَـى منطِـقُ الأغْـرارِ والحاقـدينَ في ... أولي الفَـضلِ إلا أن يكيـدُوا لهـم كَيـدا

وذلـكَ سِـيماءُ النّهَـى وضريبـةُ الخلُـو ... دِ وعنـوانُ الحفـاظِ عـلى المبْـدَا

لمثلـكَ في آبائِـكَ الـصّيدِ أسْـوةٌ ... فكَم سمِعُوا لغْـواً وكـمْ صادفوا ضِـدّا

فمـرّوا بلغْـوِ الجـاهلينَ أعـزّةً ... كِراماً ولم يولُـوه هَمـاً ولا جُهْـدا

هـم القـومُ يـستهزِي بهـمْ كـلُّ وافـدٍ ... علـيكُم ولا نخْـشَى وَعيداً ولا وعْـدا

هم القومُ فاقصُصْ مِن أحاديثِ علمِهم ... وزدْنـا بهـمْ علـماً كـما زدتَنـا رُشْـدا

هـم القـومُ يُستَـسقَى الحيَـا بوجُـوهِهم ... هـم القـومُ لا تحـصَى فـضائلُهم عـدَّا

حيـاتهمُ هـديٌ وسَـمتُهم تقًـى ... وتـاريخهم نـورٌ لمـن بعـدَهم يُهـدَى

مـن النفَـرِ الغـرِّ الـذين إذا انتمَـوا ... تـرَى فـوقَهم نـورَ النبـوّةِ ممتـدّا

ومـا أنـتَ إلا واحـدٌ مـن رَعـيلهم ... ومستلهِمٌ مـن طِيْـب ريّـاهم الرشـدَا

ومـا أنـتَ إلا حـارسٌ لـتُراثهم ... أمِـينٌ عليـه لا يكـلُّ ولا يهـدَا

حَبـاكَ الـذي أعطـاهُم مـن هِباتـهِ ... وأولاكَ ما يستوجِبُ الشكرَ والحمْدا

صـلاحاً وإصـلاحاً وعلـماً وسُـؤدُداً ... ووعظاً يلينُ الصعبَ والحجَر الصّلدا

إذا قمـتَ مـا بـين الجمُـوعِ مـذكّراً ... أصاغتْ لك الأسماعُ وانتفضتْ وَجْدا

وأنـتَ تغـذّيها بيانـاً وحكْمـةً ... وتـسكُب في آذانهـا الـذكرَ والزّهْـدا

نـصائحُ مـن قلـبٍ سـليمٍ تـسوقُها ... فتأخـذُ تلقـاءَ القلـوب لهـا قَـصدا

رعتْـكَ مـن المـولَى الكـريمِ عنايـةٌ ... وأوكَـل في مَسراك مـن جُنـده جُنـدا

فـديتُكَ مـن حَـبرٍ عظـيمٍ موفّـقٍ ... فمثلُـك يـا زيـنَ المحافـلِ مـن يُفـدَى

* * *

في مِهرَجَانِ الشّاطِرِيّ

الأستاذ العلامة المؤرخ **السيد محمد بن أحمد الشاطري**، أقام بعضُ تلامذته له حفلةَ تكريمٍ كُبرى، ألقيَت فيها الكلمات، وأُنشِدتْ القصائدُ، وهذه إحداها:

أتُرانـــا بالحفـــلِ والمهرَجَـــانِ ... وبنثْـــرِ الـــورُودِ والرّيحـــانِ
نَمـنحُ العلـمَ بعـضَ حـقٍّ عَلينـا ... ونجـازي الإحْـسانَ بالإحـسَانِ
إن أهـــلَ النهَـــى بـــذلِكَ أدرَى ... وعـلى المحتفِـين نَحـتُ المعـاني
أيّهـا الـشاطريُّ يـا عَلـماً شـ ... ـــعّ سـناهُ بالفـضلِ والعِرفَـانِ
أنـتَ أتحفتَنـا بمكنـونِ علـمٍ ... قـد تَـوارى في عَـالمِ النِّـسيان
وبذلتَ الجهُود في البحثِ والتحـ ... ـصيلِ يحـدوكَ صـادِقُ الإيـمانِ
أنـتَ! مـا أنـت! أنـتَ موسُوعَـ ... ـةٌ مـن أدبٍ واسـعِ رَفيـعِ المعـاني
أنـتَ! مـا أنـت! أنـتَ مفخـرةٌ لم ... يختلـفْ في وجُودهـا إثنَـانِ
زانَـك العِلـمُ والتواضُـع والفِقْـ ... ـهُ تبـدو في العَقـلِ أو في اللـسَانِ
أنتَ! من أنتَ! أنتَ من دَوحةٍ حَـ ... توالَـتْ عليهَـا عنايـةُ الـرحمنِ
فتـدلتْ أغـصَانُها يانعَـاتٍ ... دانيـاتٍ للجـائعِ اللهفـانِ
جاء منها «أبـوكَ» نابغـةُ العـصـ ... ـرِ فأهـدَى للـشّيبِ والـشُّبانِ
مـن معـاني فهُومِـه دُرراً فَـا ... قَـتْ «يواقيتُهـا» عقـودَ الجـمان

وكفاهُ «العقدُ النفِيسُ» إذا ما ... وُضِعَ العَارفونَ في الميزانِ

جاء منها أبوكَ؛ و«الحبرُ ... عبد الله» ذاك المعلِّمُ الربّاني

ناشرُ العلمِ بين بدوٍ وحَضْر ... وقَصيٌّ بين الأنامِ وداني

سَلِمتْ ناظراكَ من عَالمٍ فذٍّ ... ولا نالَ منك ريبُ الزّمانِ

ورعَاكَ الإلهُ للعلْم والآ ... دابِ ذخراً والأهلِ والأوطانِ

* * *

سَلْوَى

و«**سلوى**» هي ابنةُ الشاعر الصغيرة:

رَعـاكِ الله يـا «سَـلوى» فـما أنـتِ سِـوَى سـلوَى
ومَـا أنـتِ سـوَى شُـغُلِ أبٍ في الـسرِّ والنجْـوَى
ومَـا أنـتِ سـوى طيـفٍ تـذوبُ أمامَـه الـشّكوَى
ونـبراسٌ يـضيءُ حيَـا تَنـا ويحيلُهـا صَـفْوا
أجـيءُ مفكّـراً تعِبـاً عـلى المـشْيةِ لا أقـوَى
فألقـاكِ عـلى البَـابِ مرحّبـةً بمـن تهـوَى
معانقـةً مقبّلـةً فأنـسَى الهـمّ والـلأواءْ
وتـأتي أمّـكِ الأخْـرَى وإخوانُـك والأخَـوا
ونـدخُل بـين ضَوضـاءٍ محبّبـةٍ إلى المـأوَى
وأنتِ عـلى الجميعِ تُـوزّ عـينَ البِـشْر واللهْـوا
فتـأتينَ عـلى مهَـلٍ وقَـد تـأتينَني عَـدْوا
وقَـد تـأتينَني مـشْياً وحينـاً ثانيـاً حبْـوا
رعـاكَ الله يـا «سـلوى» فمنا أنت سِوى سَلوى
وحيّـاكِ وبيّـاكِ وعافـاك مـن البَلْـوَى

إلَى البِيْضِ

أُرسلَت إلى الصّديق الكريم الأديب، السيد محمد عبد الله البيض، بالظّهران شرقَ المملكة العربية السعودية، إثْرَ زيارةٍ عابرةٍ لها عام ١٣٧٠هـ، لَقي من صديقهِ «البيض» كلّ حفاوةٍ وإكرام خلالَها:

إلى «البيضِ» في الجبل المشْمَخِرّ ... إلى «البِيض» في المنزِل المزدَهِرْ
نقدّمُ أزكَى تحياتِنا ... قَوافٍ من الشّعر لا تَندَثِرْ
لها رقةٌ كالنسيم العَليـ ... ـلِ وَوقْع جميلٍ لمنْ يعتَبِرْ
ونذكُر في (أسمرا) شِلّةً ... مثالَ الوفاءِ لمن يدّخِرْ
تحلت برُوح فكَاهِيةٍ ... عن اللّهو واللغْوِ لا تزدَجِرْ
«محمّدُ» ما كنتُ أحسِب يَو ... ماً ولا أستَسيغُ ولا أنتظِرْ
بأنّكَ في هذِه الفلَواتِ ... وفي بِيدِهَا سَاعةً تستقِرْ
ولكنّنِي بعْدَ أن زرتُها ... تلاشَى خَيالي وظنّي خسِرْ
رأيتُ بها العالمَ المستنِيـ ... ـرَ في قلْبِ عَالمنا المحتَضِرْ
رأيتُ الجمالَ، رأيتُ الدّلا ... لَ، رأيتُ الهوَى والشبابَ النضِرْ
وآمنتُ أنّكَ في جَنّةٍ ... تُلاقِي الهناءَ بها واستقِرْ
فقَرَّ بِها واتخِذْ مَوطِناً ... وإياكَ إياكَ تنوي السّفرْ
وخيّم بـ«ظَهْرانَ» والقِ العَصا ... على أرضِ بترُولِها المنفَجِرْ

شوال: ١٣٧٠هـ

وبعد أيامٍ وافَانا البريدُ بالقصيدةِ التالية من الصديقِ «**البِيض**»:

مـن «**البِـيض**» في الجبَـلِ المكفهِـرّ ... كثـيرِ الـسَّمُوم قليـلِ المطَـرْ
يـضِجّ يعِـجّ بِـسَائلِ علْـمٍ ... يـضيءُ الظـلامَ ويُـذكِي الـشّرْ
إلى «**أحمَـد**» خـيرِ مـن قـالَ شِـعراً ... ليبعـثَ ذكـرَى ويحيِـى صُـوَرْ
سَـلامٌ عليـكَ شِـهابَ الـشّبابِ ... سـلامٌ عـلى الـشّاعر المقتـدِرْ
تلقيـتُ بالـشعرِ مكتُـوبَكم ... فيـا لُطـفَ مـا حَـازهُ مـن خَـبرْ
وذكّـرني عهْـدَ أنـسٍ مـضَى ... وهـيّج شَـوقاً طغَـى واسْـتَعرْ
فلـستُ بـ«**ظهْـرانَ**» أنـوي المقَـامَ ... وبينِـي و«**حَـوّاءَ**» بُعـدُ القَمَـرْ
وقـد ضـقتُ ذرْعـاً بهـا يـا صَديـ ... ـقِي إلى «**أسمَرا**» الخير هلْ مِن مفَرْ
ولـيسَ **الجبيـلُ** بـنِعْمَ الـبِلادُ ... أتختارُهـا أن تكُـونَ المقَـرّ!
أقـامَ الأحبّـاءْ بهـا مـن زمَـانٍ ... نُـزولاً لأمْـرِ القَـضاءْ والقَـدرْ
أخُـصّكُمُ بالـدعَاءِ الـوَفيرِ ... فَفِـي حَـوزِ ربيَ مـن كُـلّ شَرْ
لِـيحفَظكُمْ مِـن غِـلاظِ القُلُـو ... بِ طِـوال العِـصيِّ قَـصيري النّظَـرْ
ومـمّـا يَـسيرُ، ومـمّـا يطِـيرُ ... ومـمّـا يـسبّبُ ضَـعْفَ البَـصرْ!

الظهران

محمد عبد الله البيض

تحيةً لابنْ لاّدن

قيلتْ بمناسبة مشروعِ جَلب مياه الشرب لعددٍ من قُرى «**وادي دَوعَنْ**» من قبل المحسِن الموفَّق المعلّم الشيخِ عبد الله بن عوض بن لادن، ولم تُنشَر القصيدةُ!، ولم تقدَّم لابن لادِن!:

أنتَ حقَّقتَ بالنَدَى والسّخاءِ ... والتفَاني والهمةِ الشّمّاءِ

معجزاتٍ بدَوعنٍ لم تحقَّقْ ... فيه من عَهْدِ أمِّنَا «حَوَّاءِ»

أنتَ أنقذتَ عَاجِزاً وفقِيراً ... دُونَما مِنّةٍ ودونَ ادّعَاءِ

أنت أنجزتَ خالداتٍ من الأعـ ... ـمَالِ تلقَى بها عظيمَ الجزاءِ

رُحتَ تستهدفُ الجبالَ الرّواسِي ... جاهِداً هازِئاً بكلِّ عنَاءِ

باذلاً في سبيلكَ المالَ؛ والما ... لُ عَصاهُ سِحريَّةُ الإيحاءِ

بُنْيةٌ صَمَّمَ المعلِّمُ أن يُخْـ ... ـرِجَها من صُخورِنا الصّمّاءِ

ورماهَا بالعَزمِ فانبجسَتْ منـ ... ـهَا عُيوناً مصَادرُ الإنْماءِ

وجرَى الماءُ سلسَبيلاً؛ وهل أحْـ ... ـلَى وأغلَى من سَلْسَبيلِ الماءِ!

فارتوَى ظَامئٌ وأورقَ عُودٌ ... ومشَى الناسُ بالثنَا والدّعاءِ

وإذا المالُ حلَّ جَيبَ كريمٍ ... سالَ إنعامُهُ على الأحيَاءِ

إنه الماءُ يستحيلُ لدَيهِ ... كلّما لم يرُقْ جميلَ الرُّواءِ

رُبَّ قَفْـرٍ ببطنِـه لا تَـرَى غيـ ـرَ سَرابٍ أو بُقعَـةٍ غَـبراءِ
جاءَهُ الماءُ فازدَهى وربَـى واهتـ ـزَّ في صُـورَةٍ تثِـيرُ الرائِـي
وإذا أرضُـه وقـد أنبتَـتْ مَـن كُـلِّ زوجٍ محاسِـنَ الأشْـياءِ
يا «ابنَ لادِنٍ» يـا مَـن رأينـا أياديـ ـهِ طَاولَـتْ عِنَـانَ السَّماءِ
دم محبـاً للـصّالحاتِ وللفَـضْـ ـلِ وعِـشْ سَـالماً مـن الأرزاءِ
في ظِلالِ الوَادي الأمينِ، ومَـا «دَو عَـنُ» إلا أنـشُودَةُ الـشُّعراءِ

* * *

مِنْ «لَنْدَنْ»!

من «**لَنْدَن**»؛ وبعد ١٦ سنة قضاها طبيباً في أحدِ مستشفياتها الدكتورُ الشاعر، **حامدُ بن حسين بافقيه**، ابنُ عمِّ صاحب «الديوان»، بعث بقصيدة يتذكر فيها أرض الوطن، والأهل، والأحبة، والإخوان، ومنها:

ليسَ بِدْعاً أن يُرغِمَ الـدهرُ حُـراً ... أو تكـفُّ الأيـامُ سُـعداً بـنَحْسِ

ضاقَ أهلٌ بمغْـرَمٍ عَـشِقَ الأهْـ ... ـلَ كَما ضاقَ أهلُ «**ليلَى**» بـ«**قَـيسِ**»

ضَـاق بي نـأيُهم وقـد كنـتُ أولى ... بحِماهـم، وخَمـرُهمْ كَـان كَـأسِي

آهِ! لـو خالفـتْ هَواهـا الليَـالي ... وأتتْنـي بيُمنِهَـا قبـلَ تَعْـسِي

لصفَا الوصْلُ في المغَاني وفاضَتْ ... أمْـسِياتي بأنْـسِهم وبأُنـسِي

يؤلم النفسَ مـا رمَاهـا بـه الدهْـ ... ـرُ جُزافـاً «**ومـا أبـرّئُ نفْـسي**»

خنتُ عهدي وذمّتـي يـا قَريـضـ ... ـيّ وجاوزتُ في الخيانـةِ حَـدْسي

فيمَ لَـومِي وكـانَ أجـدَى عـزاءً ... قد كفَى اللومَ بُؤسُ حَالي ونَكْسي

إن قَـلاني يَومـاً عـلى البُعْـدِ قَـالٍ ... ليتَه كـانَ رَهْـنَ قَيـدِي وحَبْـسي

وعَـسَى يطلِـقُ الزمَـانُ أسَـاري ... وتُبدّى شَـمسُ الـوِدَادِ وشَمْـسِي

د. حامد بن حسين بافقيه

إلى الدكتور الشاعر حامد بن حسين بافقيه من وحي قصيدته السابقة:

أقبلَـــتْ ..... تبعَـــثُ الـــذكرياتِ والأشْـــجانا
بـــشّرتني بـــأنّ أربـــابَ وُدّي قـــد عَنـــاهُم مـــن أمرِنـــا مـــا عنَانـــا
وبِـــأنّ الأحبـــابَ رغْـــمَ التّنـــائِي لم يزالُـــوا أحبـــةً أعوانَـــا
كيـف يَسلُونَ والهـوَى قـد رمَـاهُم وسَـقاهُم مـن دنِّـه مـا سَـقانا
أيّهـذَا المـلاَّح أَوغَلـتَ في اليـ ـــمِّ وأطلقـتَ للشّراعِ العِنانَـا
فمـضَى يَـذْرَعُ البِحَـارَ ذَهابـاً وإيابـاً متَـيَّماً هَيمانَـا
سَـابِحاً ينـشُدُ الكَـمال عـلى الأرْ ضِ ويرجُـو مـن الليـالي الأمانَـا
ليتَ شِـعْري! هَـلِ اتخـذتَ عَـشِيراً في ربَـى «لنـدنٍ» وأهـلاً سِـوانا
ليتَ شِعْري كيفَ استسَغْتَ لذِيذَ الـ ـــعَيشِ في غَـيرِ أرضِـنا وسَـمانا
عُـدْ إلى مرتَـعِ الـصّبا والتّـصابي وإلى سُـوحِ رَبعِنـا وحِمانَـا
وتَنـشّقْ عبِـيرَ لـيلَى ولُبنَـى وانظُـرِ الأقْـرَبين والخلانَـا
وتَـذكّرْ تلـكَ الجبـالَ الـرّواسي وهـوَى «دَوعَـنٍ» وذاكَ الزمَانـا
وعفَـا الله يـا حبيبـي عـن المـا ضِي وعَـما جـرَى وصَـارَ وكانـا!
واطْـوِ عهْـدَ البعَـادِ في صـفحاتٍ ضِـمْنَ تـاريخِ «كـانَ يـا مَـا كانَـا»

❊ ❊ ❊

طُوفَانُ دَوعَنْ

«**وادي دَوعن**» هو مسقطُ رأسِ الشاعر؛ تعرض في الثامنِ عشَر من ذي القعدة ١٣٧٣هـ لسَيلٍ عَرِمٍ هو أشبه بالطوفان، إذ لم يُعرَفْ له مثيلٌ منذ مئاتِ السنين، حيث جرَف ما يقارب التسعينَ بالمائة ٩٠٪ من نخلِ الوادي، زينةِ حياته، وأصلِ جماله، كما هدم بعض الدُّور:

سَلْ رُبَى «**دِجلةٍ**» وسلْ «**يوكَاهَامَهْ**» هلْ درَتْ خطب «دَوعَنٍ» واحتِدَامَهْ؟
خَبِّروهَا لعلهَا تتأسَّى عن عَوادي طُوفانِها الدهّامَهْ
خَبِّروهَا بِسَيلِ «**دَوعَنٍ**» إذْ جُنَّ فألقَى على البلادِ حِمامَهْ
فصحَا ذَاهِلاً عَلَى طلقَاتِ النّا ر[1] تبغِي بما جَرى إعلامَهْ
وإذا الخطبُ مُدلهمُّ النّواحي وإذا الهولُ والرّدَى قُدّامَهْ
وإذا السّيلُ مُقبِلٌ يَمْلأ الوَاد ي تُغطِّي أمواجُه آكامَهْ
مُزبِداً مُرغِياً قَوِيّاً عَتِياً مُسْتبداً بكلِّ شيءٍ أمامَهْ
جَارِفاً عاصِفاً بمجهُودِ قَومٍ كتبُوا من دِمَائهم أرقامَهْ
ولجُوا في سَبيلهِ كُلَّ دربٍ وطَرِيقٍ يخْشَى الليالي اقتحامَهْ
ربِّ! ما ذا أرَى؟ أطُوفَانُ نُوحٍ جاءِ أخْرَى؟ أم حلَّ يومُ القيامَهْ؟

---

(١) جرت العادةُ في (وادي دوعن): أنهم في حالة وصُول السّيل، يضربون الرصاص لينبّهوا سكان القرى بقدومه، ليرتفعَ الفلاحُون من المزارع، (الشاعر).

غمـرَ الـسيلُ كـلَّ سـهلٍ ووعْـرٍ ... وتعـالَى مهـدِّداً كـلَّ هامَـهْ
وطغَـى مَـاؤه فـضجّت قُـرَى الـوا ... دي بـدَمعٍ حكَـاه صَـوبُ الغمامَـهْ
وترامَـتْ في الأفـقِ صَـيحاتُ ذعْـرٍ ... تَـرْجمَ الـشعبُ ضِـمنها آلامَـهْ
وسَرى الخـوفُ بـالنفوسِ ودبَّ الـرُّ ... عْـبُ فيهـا وأعوَزتْهـا الـسلامَهْ
لحظـاتٌ رهِيبـةٌ تركَـتْ في ... كـلِّ نفـسٍ وكـلِّ قلـبٍ علامَـهْ
يـا لَقَـومي لمـا بنَـوا وأشَـادُوا ... دارَ سَـاقي الـرّدى وأفْـرغَ جامَـهْ
ودهَـاهُم بـين الـورَى بعَتِـيٍّ ... لا يُراعِـي عهُـودَه أو ذِمامَـهْ
ورمَـاهم في الباسِـقَاتِ اللـواتي ... كـنَّ للـوادي حُـسنه وقَوامَـهْ
هـزةٌ فانتفاضـةٌ وإذا النخلَـ ... ـةُ جِـذعٌ هـوَى وألقَـى زمامَـهْ
يـا لَـوادٍ في ظِلِّـهِ كَمُـلَ العيـ ... ـشُ وتحلُـو بِجَانبَيـهِ الإقامَـهْ
وبقـاعٍ مـن نـادرِ الحـسْنِ فيـه ... صـنعتها أنامِـلٌ رسّـامَهْ
وجنـانٍ مـن النخيـلِ إذا مَـا ... مـالَ نـسيمٌ تَمايلـتْ قُدامَـهْ
كـم تلاقَـى عـلى رباهـا أليفـا ... نِ وكـمْ غـرّدتْ عليهَـا حمامَـهْ
ومغـانٍ لـشَاعرٍ ومَـراءٍ ... كـم أثـارَتْ وحركَـتْ إلهامَـهْ
غـيَّر الـدهرُ حالهـاً فاسـتقلّتْ ... تبعـثُ الهـمّ والـشّجَى والـسّآمَهْ
أيهـا الحـضْرميُّ إنْ يـذهبِ المـا ... لُ فلَـن يـذهبَ الإبـاءْ والكرامَـهْ
وقلـوبٌ بحُـبِّ كُـلِّ عَظـيمٍ ... كلِفَـاتٌ مجنونَـةٌ مُـستَهامَهْ
وطمُـوحِ جـمٍّ تغَنّـتْ بـهِ عنـ ... ـكَ الليـالي وأنفـسٌ همّامَـهْ
فاشْـحذِ العـزمَ للبنـاءِ تُعِـدْ مَـا ... جرفتـهُ الكَـوارِثُ الهدّامَـهْ

* * *

مِنْ وحْيِ أسْمَرةْ[١]

بمناسبة نشر مقالٍ للشابِّ النابهِ، **محمد عمر بارحيم بامشموس**، يعلنُ فيه عودة «**النادي الثقافي العربي**» بأسمرا إلى كاملِ نشاطه، مكة رجب ١٣٧٢هـ:

صُغْ من رقيقِ الشّعرِ ما هُو أليقُ ... ودَعِ القَوافي بالتحيةِ تنطِقُ

وابعثْ من «**البلَدِ الحرَام**» تهانياً ... لجماعةٍ بعثُوا الرجاءَ وحقّقُوا

نهضتْ بهِمْ للمكرُمَاتِ فتوّةٌ ... تغْلي وعَزْمٌ عَارمٌ يتدفّقُ

فمشَوا وأحيَوا نهضةً أدبيةً ... «**بغْدادُ**» ترمقُها وتُكبِرُ «**جُلّقُ**»

في «**أسمرا**» حيثُ الطبيعةُ هيّأتْ ... جَواً بِألوانِ المفَاتنِ ينطِقُ

مهدُ الجمالِ ومَهبطُ الحسنِ الذي ... تهفُو لمنظَرِه القلوبُ وتخفِقُ

لله بينَ ربُوعِها لي ماضِياً ... أرنُو إليهِ بعَبْرةٍ تتدَفّقُ

غنّيتُ فيهِ على معالمِ سِحْرِها ... وعشقت فتنتَها ومِثلي يعشَقُ

وعرفتُ فيهَا نخبةً مختَارةً ... من كل شَهْمٍ في الفضَائل مُعرِقُ

أو كلِّ محمودِ السُّرَى في رُوحِه ... مرَحُ الشبابِ وخفّةٌ لا تلحَقُ

عاشُوا بها العيشَ الرّغيدَ وصَفّقتْ ... لهمُ الليالي والزمَانُ وصَفقُوا

---

(١) نشرت بمجلة «النهضة» العدنية عام ١٣٧٢هـ.

وروَوا بها قِصَصاً تفيضُ عذُوبةً ... ينبيكَها (سقافُنا)[١] والزّورقُ

إيهٍ منازلَ «أسْمَرا» وهضابها ... ومسَارحاً فيها يُسَرُّ المحنَقُ

ومرابِعاً للسَّانحاتِ عَشيةً ... وحَدائقاً منها المسرّةُ تعبِقُ

قد كنتُ أحسِبُ أنها لعِبتْ بها ... أيدِي الليَالي فانثنَتْ تتمزّقُ

وتعطلتْ فيها الفنونُ وصوّحَتْ ... تلك الغُصونُ وزالَ ذاك الرّونَقُ

وأتت على «النّادي» العَزيزِ فقوضَت ... أركانَه بمعاولٍ لا تَرفِقُ

حتى سمعتُ من الشّباب مُنادِياً ... في صوته نغَمٌ ولحنٌ شَيّقُ

ووراءَهُ نفَرٌ رأيتُ قلُوبَهم ... شوقاً إلى نيل العلى تتحَرّقُ

متحفّزينَ وفي سَبِيل مُرادِهم ... لا ينثني بهمُ المجَالُ الضّيقُ

يا فتيةَ «النّادي» الكرامِ تحيةً ... وإلى الأمَامِ فكلُّ عينٍ تَرمُقُ

سِيروا بعَونِ الله في مَشْرُوعِكم ... واسعَوا إلى الهدَفِ البعيدِ وحقّقُوا

يحدُوكُم الأملُ العَظيمُ وصَادقُ الـ ... ـعَزمِ الأكيدِ وهمّةٌ لا تخفُقُ

واضْفُوا على «النّادِي» جديدَ لباسِهِ ... ودَعُوهُ يرجِعُ عهدُه المتألقُ

فَلأنتمُ أحرَى ببعثِ حَياتِه ... وبخَلقِه خَلقاً جَديداً أخلقُ

* * *

(١) هو صديقنا الغالي: **محسن بن علوي السقاف**، إشارة إلى قصيدة «**رحلة في الزورق**» التي نشرها في مجلة «فتاة الجزيرة» آنذاك.

مَـجلّةُ «الجنُوبِ العَربي»[١]

بمناسبة اقتراحٍ للصديق **علي بن أحمد السقاف** نُشِر بـ«**المجلة**»، يطالب بافتتاح بابٍ بعنوانِ «**رأيِ ابنِ الجنُوب**»:

هـــيَ رأيُـــه والمنْـــبَرُ ... هـــيَ فكـــرهُ المتحَـــرّرُ
هيَ صوتُه الدّاوي ألَـــمْ ... تسمعْ صَداهُ يزمْـجِـرُ؟
هـيَ نـورُه الوقّـادُ يهـدِ ... يـــهِ الطريـــقَ فيعـــبُرُ
هـيَ روحُـه الوثّـابُ لا ... يكبُـــو ولا يتعثّـــرُ
هيَ ذلكَ اللحْـنُ الـذي ... يسْبي العقُـولَ ويـسحَرُ
هيَ علقمٌ لعِـدَى الجنُـو ... بِ وللمُـواطِن كَـوثرُ
هيَ أنتَ يـا ابـنَ الجنـو ... ب عـلى حياتِـك تـسهَرُ
هـيَ أنـتَ تعمـلُ للـبِلا ... دِ مُـــشَمّراً وتفكّـــرُ
هيَ صَفحةُ الأحْـرارِ نَـا ... صِـــعةٌ تَـــشعُّ فتُبهِـــرُ
مـن كـلّ ذي قلـمٍ بغَيـ ... ـرِ هوَى الحقيقـةِ يكفُـرُ
تلقَـــى مقالتـــه لأ ... مَّتِـــهِ وفَـــاءً تقطُـــرُ
وعـــلى رُؤوسِ المعتَـــدِ ... يـــنَ قنَـــابلاً تتفجّـــرُ

---

(١) نشرت بمجلة «الجنوب العربي»: ٢٨/ ٥/ ١٣٧٤هـ.

تَهنِئةٌ مِنَ القَلْبِ!

هَنئُوا الشيخَ بامتلاكِ العِمارَةْ ... ودَعُوهُ يرقَى مكانَ الصدارهْ
وهلُمُّوا نَشدُّ في مَوكبٍ ضَخْـ ... ـم عَلى كفِّهِ بكُلّ حَرارهْ
ونحيّي فيه العزيمَةَ والجدَّ ... ونُولي تقديرَنا إصْرارَهْ
ونحيّي روحَ الكِفاحِ التي شَا ... دَ بها صرْحَه وأسّسَ دارَهْ
وبناهَا طَوابِقاً شَامخاتٍ ... رائعَاتٍ تَروقُ للنَّظَّارَةْ
جاء تَصميمُها طِرازاً فريداً ... يلهِمُ الشّعرَ محتوًى وعِبَارةْ
وإذا ما دخلتَها بسلام ... تجد الفَنَّ شَائِعاً والمهَارَةْ
تتجلّى في كلّ ما تقعُ العيـ ... ـنُ عليه من صَالةٍ أو سِتَارةْ
ونقوشٍ كأنها صُنعَتْ مِن ... خالصِ التّبرِ أو كَرِيم الحجَارةْ
قال لي صاحبي مُشِيراً إليهَا: ... أتُرى ربُّها رئيسَ وِزارَةْ!
قلتُ: كَلّا؛ لكن رئيسُ حِسَابا ... تٍ قديرٌ على فُنونِ التجَارةْ
ودقيقٌ فِيما تخطُّ يَداهُ ... ولبيبٌ وفَاهِمٌ بالإشَارةْ
وله في مواطن الحُسْنِ ذوقٌ ... سوف يطغَى على جميع الحارةْ
يا «**أبا الفضل**» أنتَ أصبحتَ فينا ... رجُلاً طارَ ذكرُه كبّارَهْ
فتبجّح بينَ الورَى؛ وتهنْدَم! ... وتفنْدَم! واستبدلِ السّيارَةْ

هكذا! هكـذَا؛ وأنفِـقْ مـن المـالِ لـــذي فاقَـــةٍ وجَـــارٍ وجَـــارَةْ
وادعُنـــا كلـــما دعـــوتَ حبَيبـــاً أو أدِيبـــاً أو نخبـــةً مختـــارَةْ

* * *

أنتَ في الفَضْلِ وحيدٌ!

إلى الصديق الكريم بافضل؛ من وحي رسالته التي يقول فيها: « .. فربما جمعَنا ميدانُ الكِفَاح يوماً مّا»:

يا «**أبا الفَضْل**» إنما أنتَ في الفَضْـ ـلِ وحيدٌ وفي البطُولاتِ أوحَدْ
أنـت أغريتَنـا بحُـبّ المعَـالي وبـما فيـه مـنْ نعـيم مؤَبَّـدْ
فغـدَونا بهـا شـغُوفين نَـستَعْـ ـذِبُ مـن أجلهـا التمنّعُ والصَّدّ
لا نبـالي الـضّنَى وسُـهدَ الليـا لي لا ولا نَحسِبُ المشقّةَ والكدّ
يـا «**أبـا الفَـضْل**» وحّـدَتنا ميـولٌ وغَـداً نلتقـي عـلى خَـير مـورِدْ
مـوردِ المجْـدِ والكفـاح عـلى الحـ ـقّ نشمّرُ يا صَاح عن سَاعدِ الجدّ
وتأهّـبْ فـإن يـومَ نِـضَالٍ سـوفَ يـدوي دويُّـهُ ويُـرَدّدْ
نحنُ في لهفةٍ وشَوقٍ إلى ذلكَ اليـو م ففيـه نَـرى الحيـاةَ ونَـسْعَدْ
نحـنُ في لهفـةٍ وشـوقٍ إلى يَـو م نـضَالٍ دامـي الجوانـبِ أسْـوَدْ
نحـن في لهفـةٍ إلى خَـوض شَعْـ ـواءَ لظَاهـا لا يـأتَلي يتوقّـدْ
مـن سـناهُ الـذكيِّ نَقـبِسُ أضْـوا ءَ المعَـالي ونـستنيرُ ونُرْشَـدْ
يـا شَـبابَ الجنُـوبِ يـا أمَـلاً نَـر نُو إليـه إذا دهَـى الخطبُ واشتَدّ
آنَ يـا قـومُ أن تهبّـوا وأن تَـسْـ ـعَوا بحَـزْم وهمـةٍ لا تَنفَـدْ

آنَ أن تنفُـــضُوا غُبَـــارَ هَـــوانٍ طَالمـــا ضَـــلّل الـــبلادَ وأرمَـــدْ
آنَ أن تنهـــضُوا وتنتزعُـــوا الحـــ ـــقّ اغتِـصَاباً ممـن طغـى واستعبَدْ
آنَ أن تنقِـذُوا الحمَـى وتعيـشوا أمـــةً حُـــرّةً وشـــعباً موحّـــدْ

* * *

بُعدُكَ بُعْدُ!

«بافَضْلُ» بعدُكَ بُعدُ ... فَهلْ لنَا مِنهُ بُدُّ
أم أن ذاك قَضَاءٌ ... مُحَتّمٌ لا يُرَدُّ
خلّفتَ فينَا فرَاغاً ... أرجَاؤُه لا تُسَدُّ
وَحالُنَا غَيرُ خَافٍ ... وشَوقُنا لا يُحَدُّ
وفي المجالسِ نقْصٌ ... وفي الجوانح وجْدُ
ومن لنَا بصَدِيق ... أفضالُه لا تُعَدُّ
هُوْ الوفَاءُ مثالٌ ... وفي المروءَةِ فَرْدُ
إذا دعونَاه يوماً ... في محنةٍ جَاء يعدُو
وإن شكَونا إليه ... سرًّا لنا لا يُرَدُّ
وإن يكُن فيه عيبٌ ... فكفُّهُ والزّندُ
آناً تراهُ وَديعاً ... وتارةً يشْتَدُّ
وعندَه الجدُّ هَزْلٌ ... وعندَه الهزلُ جِدُّ
كأنما هُو بحْرٌ ... والبحر جَزرٌ ومَدُّ
هذا الصديقُ المفدّى ... الماكرُ المستبِدُّ
هلْ باعنا برَخيصٍ ... من النقُود تُعَدُّ
أم أن «ليلَى» و«لبنَى» ... قد تيّمتهُ و«هِندُ»

أم مَنـصِبٌ برْمكـيٌّ ... لـهُ الرّحـالُ تُـشَدُّ
أم مركـزٌ عَـالمي ... يرنُـو إليـه المجِـدُّ
سـبحانكَ الله ربي ... لـكَ الرضَـا والحمْـدُ
رزقتَ «بافَضْل» جَاهاً ... من دونِ لا كانَ جُهـدُ
«أبا الفَضائلِ» قـل لي: ... مـاذا وراءَك بَعـدُ؟
وهـل لـديكَ سـلاحٌ ... مـن البِعـادِ أحـدُّ
ترمِـي بـه كـلّ خِـدْنٍ ... إخلاصُـه مـشْتَدّ
وكيـف غـادرت بيتـاً ... يأويـهِ غـورٌ ونجـدُ
أمـا أنـا سَـوفَ أبقَـى ... عَـنِ الحمَـى لا أُصَـدُّ
قـد تيمتنـيَ هِنـدٌ ... وتَيّمـتْ بيَ دعْـدُ
لَن أبْرحَ البيتَ حتَّى ... يـضُمّني فيـهِ لحـدُ

* * *

أبا طَارقٍ!

إلى الصديق الغالي محمد أحمد بافضل:

«أبـا طَـارقٍ» يـا «أبـا طَـارقِ» ... لـكَ الله مـن والـهٍ عاشِـقِ
هويـتَ الجـمال سـنيناً طـوالاً ... ولا زلـتَ نعـمَ الفتَـى الوامِـقِ
وأبحـرتَ مـن أجْـلِ ذاك وطِـرْتَ ... وغـرّدتَ في جَـوّه الرائـقِ
ومِـنْ بلَـدٍ طيـبٍ قَـد نُقلـتَ ... إلى بلـدٍ في الهـوَى غـارِقِ
ومـن شـقّةٍ لـكَ أو طـابقٍ ... عليـلِ الهـواءِ إلى طَـابقِ
تنقّـلْ فـإن نعـيمَ الحيـا ... ةِ يـذهبُ في لمحـةِ البَـارقِ
وإن لم تجـدْ مـا يغـذّي طُمـو ... حَ نفـسِك في بيئـةٍ؛ فَـارقِ
وأنفـقْ مـن المـالِ فهـوَ كثـيرٌ ... ورزقُ العبـادِ عـلى الخـالقِ
وخلِّ «السَّبيلَ» لأهْـلِ «السّبيلِ»[1] ... يعيـشُونَ في جـوّه الخـانقِ
وبـين أزقّتـهِ يعبثـو ... نَ رُغـمَ الموانـعِ والعَـائقِ
فـما بيـنَهم غـيرُ مُـضْنَى الفُـؤا ... دِ أو «خُـنفُسٍ» شـاردٍ آبـقِ
ولـستَ مـن القـومِ في أيّ شيء ... ولـيسَ المحلِّـقُ كالمـارقِ
ومـا أنـت إلا الفتَـى الألمعـيّ ... عَرفْنَـاكَ مـن زمَـنٍ سـابقِ

---

(١) «السبيل»: من أحياء مدينة جدة القديمة، مشهور بأزقته الضيقة.

تحــبُّ الكــرامَ وتَقــلي الطّغــا ... مَ وتــصفحُ عــن حنــقِ الحــانقِ
وتهنئــةٌ مــن صــميمِ الفــؤا ... دِ مُعطــرةً بالــشذَى العَــابقِ
بمنزلِــك الــشاعريِّ الجديــ ... ــدِ مــا غــرّدتْ شَــفةُ العاشِــقِ
ولا زال في أفْقِــه عَــامراً ... بكُــم بالأحبــة بالطّــارقِ
وخاتمــة القــول نهــدي التحــا ... يــا معطــرة مــن «أبي طَــارق»
تحيــةَ ود عميــقٍ عميــ ... ــضَمخَةً بالــشذى العــابق

* * *

إنّهُ الكَسَلْ!

هذه معذرةٌ وترحيبٌ إلى الأخ الوفي **محمد بن أحمد بافضل**، فليسبل عليها ذيلَ الإغضاء، وما تخللها من ضَعفٍ وهُزالٍ فإنه بالستر أجدر:

يـا أخـي إنـهُ الكـسَلْ ... فـاعفُ عنـي ولا تَـسلْ
أنَـا في الحـقِّ مـذنبٌ ... منـذ قـدَماً ولم أزلْ
مرحَبـاً ثـم مرحَبـاً ... أيهـا القـادمُ الأجَـلّ
مرحبـاً مـا دعَـا الـدُّعا ... ةُ ومـا عـبَر الأزَلْ
مرحبـاً مـا مُـسافرٌ ... خـفّ رجلَيـهِ وارتحـلْ
مرحَبـاً مـا تقارعَـتْ ... حُجَـجُ القـومِ بالجـدَلْ
واختفَـى قـولُ باطـلٍ ... وبـدا الحـقُّ واكتمَـلْ
مرحبـاً مـا ترنّمـتْ ... واحـةُ الـشّعر بالزّجَـلْ
وشـدَا العُـود في يَـدي ... صـانعٍ يـتقنُ العمَـلْ
وتهـادَت مليحـةٌ ... في دَلالٍ وفي خَجـلْ
يا «**أبـا فَـضْل**» صِـفْ لنـا ... حـالَ أقوامِنـا الأولْ
وصـفِ الجـوَّ في تريـ ... ـمٍ ورُباهـا عـلى عَجـلْ

وتحـــدّثْ عـــن القِبَـــا ... بِ وعن «السِّرّ» و«القُبَـلْ»
وعـن الفَـضْل والـصّلاحِ ... وعـــن الخـــيرِ والأمَـــلْ

الخبر؛ ٢٥/ ٣/ ٧٧هـ

«هذه الأبيات كتبتها منذ أشهُر؛ ولم أتمكن من تبييضها وإرسالها إليك غير اليوم؛ إنه الكسل يا أخي .. فعفوَك ومعذرتَك .. وإلى اللقاء».

* * *

تَـهنئةٌ ...

إلى الصديق الكريم الأديب، **محمد أحمد بافضل**، بمناسبة قِرانه الميمون بمكة المكرمة:

بلغـتَ المـدَى وكَـسِبتَ الرّهـانْ ... «**أبـا الفَـضْل**» يـومَ عقـدتَ القِـرانْ
أتـاكَ الزمـانُ بـشُوشاً ضَـحُو ... كـاً ولا شيءَ مثـلِ ابتسامِ الزّمـانْ
وغنّـى فقامَـتْ تهـزُّ القـدُو ... دَ عـلى نغْمِـهِ فاتنـاتُ القِيـانْ
وحـقّ لنـا أن نـزُفّ التهَـا ... ني لشَخْـصكَ والأمنيـاتِ الحِسَانْ
ونُزجِـي القـريضَ بَـدِيعاً رقيقـاً ... يـدينُ لـهُ أمَـراءُ البيـانْ
ولـو أنـصفَ الـدهرُ جِئنـا إليـكَ ... نـشَاطِر في الحفـلِ شُربَ الـدّنانْ
وكنـا عـلى رأسِ مـن يهزُجُـونَ ... ومـن يـستديرونَ حَـول الجفَـانْ
«**محمّـدُ**» أنـتَ مثـالُ الوفَـاء ... ورمْـزُ الإخـاءِ المتـينِ الكَيـانْ
أتـذكُر بـالله أكذوبـةً ... ضـحكنا لهـا برهـةً مـن زمَـانْ
يردّدهـا «**سـالم**» في حمـاسٍ ... و«**محـروسُ**» ذاكَ الطويـل اللسَانْ
وأنـتَ تـدافعُ في شـدةٍ ... وتنكِـرُ يـا صَـاحِ مـا يـذكرانْ
وتثبـتُ بـالحججِ الـدامغَا ... تِ أنهـما إنـما يهـذِيانْ
ولكننـا لا نُعِـيرُ سَـماعاً ... إليـكَ ونُـصغِي لمـا يـزعمانْ

وهـا هـي قَـد أصـبحتْ واقعـاً ... لمـن يمـتريْ مـاثِلاً للعيـانْ
أتَـذْكرُ إذ كنـتَ بـين الرفـا ... قِ أتـذكُر إذ كنـتَ في كـل آنْ
تقـولُ وتـسطُو عـلى كُـلِّ فَـردٍ ... وتفخَـر بالعـضَلاتِ المتـانْ
وتزهُـو بأنـكَ راوي الـشّبا ... بِ وأن لا يـدانيك فيـه مـدانْ
وأن لـيسَ تملـكُ أمْـراً عليـ ... ـكَ يـا صـاحِ «حَـواءُ» هـذا الزمـانْ
وإنـكَ عنهـا بعيـدٌ بعِيـدٌ ... وإنـكَ مـن سِـحرها في أمَـانْ
فـما رأيُـكَ اليـومَ يـا صَـاحبي؟ ... ومـا شـأن مُلكـكَ والـصولجانْ؟
فمثلُـكَ في عُلـوِ أخلاقِـهِ ... ورقَّـةِ إحْـساسِه والجنـانْ
حَـرامٌ وصَـعبٌ عليـه الحيـا ... ةُ منعَـزلاً أعزَبـاً في كِيـانْ
ومِـن حَولـهِ كُـلُّ ذي عفَّـةٍ ... ومِـن حَولـهِ النـيِّراتُ الحـسانْ
فعـشْ يـا صَـديقي بعَهْـدٍ سَعيـ ... ـدٍ ستَنـشقُ منـهُ عَبـيرَ الجنـانْ
وإن رابَ في الأمْـرِ ذو ريَـبٍ ... ورابـكَ في الأفْـقِ بعـضُ الـدُّخَانْ
فـدعْ عنـكَ هَـذا الهـراءَ الـسخيـ ... ـفَ ودَعْ عنكَ مـا نقلـوا عـن فـلانْ
فـما أنـتَ إلا الـصديقُ الـوفيُّ ... بـلا منـةٍ وبغـيرِ امتِنَـانْ
ومـا أنـتَ إلا العزيـزُ الكريـ ... ـم برغمِ الحسودِ ورَغْـمِ الجبـانْ

* * *

كَيفَ تُسِيءُ الظّنَّ!

بالله قل لي يَا صَـديقي النّبيـهْ: كَيفَ تُسيءُ الظّنّ في «بافَقِيـه»
ما كانَ ظنِّي يـا «أبـا طَـارقٍ» أنّـكَ ترميـهِ بـما لـيسَ فيـهْ
وأنتَ أنتَ الصّاحِبُ المجتبَى المخلصُ العفُّ الكريمُ النّزيهْ
ضَربٌ مـنَ الـوهْمِ تخيلتَـهُ فكِلتَ للمسكينِ ما ليس فيـهْ
الوهم! والوهْمُ عـدوٌّ وهَـلْ أفتَى بحُكمِ الوهَمِ يوماً فقيهْ؟
سـامحكَ الله! فَـإني عـلَى الـ ـعَهدِ كَما كنتُ وحَقِّ «الفقيهْ»
وحـقِّ مـا بينِـي ومـا بيـنكُمْ وحقِّ «بيتٍ» أنتَ من ساكنيهْ

المقيمُ على العهد: أحمد علي بافقيه
الخبَر؛ ٤/ ١٠/ ١٣٨٠هـ

«بطَيِّ هذا خطابٌ لوالِدِكَ[١] الذي كنتُ أتصورهُ شَيخاً هرِماً أو علَى الأقلِّ مُشرِفاً على الشّيخوخة؛ فإذا به شابٌ لطيفٌ! فضلا إرسال خطابي إليه بسرعة، ولك تحياتي.

أحمد علي بافقيه».

---

(١) الشيخ أحمد بن أبي بكر بافضل، توفي بتريم سنة ١٤٠٠هـ، عن عمر (٧٤ عاما) تقريبا.

أَوَالُ[١]

أهديت إلى الصديق عازف الكمان، الفنان البحريني علي ضمير؛ البحرين؛ ٣ شوال ١٣٨٢هـ:

أوالُ أهديكِ من قلبي ووِجْداني ... تحيـةً مِلؤُهـا حبِّـي وعِرفَـاني
صبَّتْ عليَّ الليالي جامَ غُربتها ... وعشتُ ما بين أشْواقي وأشجَاني
فجئتُ أسْتَلهِمُ السُّلوانَ فاندفَعتْ ... شُطآنُكِ الخضرُ بالتِّرحابِ تلقَاني

* * *

البحرُ حَولكِ ضَاحكُ الوجَناتِ مكتَملُ الصَّفاءْ
فكأنّ صفحتَه تُغازِلُ في المسَا قمَرَ السماءْ
وكَأنما هُو منظَرٌ من فِضَّةٍ أو من ضِياءْ
تَاريخُهُ ما زالَ حاضِرُه وفي ماضِي الليالي
يُهدي إلى الدُّنيا الفريدَ من الجواهرِ واللآلي
كَم غَادةٍ بزَّتْ صواحِبَها بعقْدٍ من أوالِ

* * *

---

(١) أوال: هو الاسم القديم للبحرين.

وفي رِمَالِكِ سِحرٌ يُعزَى إلى أرضِ بَابِلْ
أفْدي بنَفْسي رمَالاً تخلّلتْهَا الخمائِلْ
وتحتَها الماءُ يجْرِي سَواقياً وجَداوِلْ

* * *

وجوارَها انتشرَتْ تحيّي الطرفَ آبارُ الذَّهبْ
ومَصانعٌ من حَولها اشتعلَتْ منارَاتُ اللَّهَبْ
تَبني مواقعَ نهضةٍ تُفضي إلى العَيشِ العَجَبْ
وتَسيرُ بالبَحْرين في ركبِ العُروبة والعَربْ

* * *

يا عازفاً ...

إلى الصديق الغالي، الفنان عبد الرحمن الرويعي، تحية حب وتقدير؛ الخبر رجب ١٣٨٢هـ:

يـا عازفـاً ملَـك القلـوبَ بعزْفِـه ... رفْقـاً فقَـدْ أودى الهـوَى بفُـؤادي
نغـماتُ عـودِكَ تـستثيرُ صـبَابتي ... وتعيـدُ ذكـرَى لـوعَتي وسُـهادي
وتهـيْجُ أشـواقي إلى متـدلِّلٍ ... حُلـوِ الدُّعابَـة كـاذبِ الميعَـادِ
رِيـمٌ عليـهِ مـن الملاحَـةِ مِـسْحةٌ ... تُغـري الحلـيمَ وناسِـكَ العُبَّـادِ
لـبسَ الخمـارَ فكنـتُ ألمـحُ وجْهَـه ... مـن خلفِـه كالكَوكـبِ الوقَّـادِ
مـا ضـمَّه بـين الفـواتنِ مجلـسٌ ... إلا وكُـنَّ لـه مـن الحـسَّادِ
وإذا مـشَى في حيِّـه متخطِّـراً ... لعـبَ النـسيمُ بقَـدِّه الميَّـادِ
كم بتُّ أرْعَى النجْمَ أرقُـب طَيفَـهُ ... وأذودُ عـن جَفنـي لذيـذَ رُقَـادي
وأعـدُّ سَـاعاتي الطـوالَ دقَائقـاً ... وأذوبُ مـن وَجْـدٍ ومِـنْ إجهَـادِ
مـا زال يُوعِـدُني ويخلِـفُ وعـدَه ... ويزيـدُ مـن ألم العَليـلِ الـصّادي
حتـى إذا جـنَّ الـدُّجى في لحظَـةٍ ... والنـومُ أخـرسَ عـاذلاً ومُعَـادي
وافى ينقّـلُ خطْـوَه في خِيفَـةٍ ... متلفتـاً متلفّعـاً بـسَوادِ
فَصحَا العميدُ ولا تَسلْ عـن ليلَـةٍ ... كنَّـا بهـا للـدَّهْر بالمرصَـادِ

مَاذَا أردْتَ بنَشْرِ شِعْرِكَ؟

إلى الأستاذ الجليل، الشاعر المبدع الأصيل، أحمد علي بافقيه؛ (قدمَها له أديبٌ حضرمي مقيم بجدة):

ماذا أردتَ بنَشر شِعْرِكَ قالُوا؟ ... حبَّ الظّهُور؟ أم اعتراكَ قِلالُ؟

فجعلتَ شِعرَكَ سُلماً لوظيفةٍ ... مرمُوقَةٍ؛ والنّشرُ فيه مجالُ؟

أم كنتَ تؤمِنُ أنّ ذلك واجِباً ... قبل التجنُّسِ إذْ تبدَّلَ حَالُ؟

فمَدحْتَ مدْحاً قد يُعَدُّ تزلّفاً ... لما أظلّك «مِشْلحٌ» و«عِقَالُ»

«**لا تبطِلُوا صَدقاتِكم بالمنِّ**» إنّ ... المنَّ فيه علَيهمُ إذلالُ

إن كان صَاحبكم يؤَدّي واجِباً ... فلِكَي يقال: «**وأنتَ ممّنْ قالُوا!**»

«**بيرُوتُ**» أكرَمَها بأكثرَ مِنهمُ ... يا ليتَ شِعري هل أثيرَ سُؤالُ

وهناك بلْ وهُناكَ بلْ ... وهناكَ؛ حيثُ الحلُّ والتّرحَالُ

أنت الفَهيمُ وأنت تَعرِفُ مَقْصَدي ... يا «**بافَقيهُ**» فَدُونكَ الأمثالُ

ما كنت أحسِبُ أن شِعرَك ذلكَ الـ ... ـقَصرُ المنيفُ! يصيبُه الزّلزَالُ

فيخِرُّ من ذاكَ العُلوِّ ليمدح الـ ... ـمُتَصدِّقينَ! بمَدحِهمْ يَنهَالُ

يا ليتَ جِبرَ النشْر لم يعلَقْ بها ... وبَقيتَ في نظري، لَكَ الإجلالُ

لا عيبَ في نشرٍ بدونِ تزلُّفٍ ... فالنشْرُ فيه فضيلةٌ، ونِضَالُ

لا عيــبُ في مَــدحٍ يخلِّــدُ مَوقِفــاً ... لم تَــستطعْ تحقيقَــه الأبطَــالُ

أو مَوقِفــاً تهتَــزُّ عنــدَ سَــماعِه ... وبــذكرِه تتَفــاخَرُ الأجيــالُ

فاجعــلْ مــديحَكَ دائــماً فــيمنْ لَــهُ ... يجــبُ المــديحُ، ويَــستَريحُ البــالُ

ولقدْ أجدْتَ! وفي القَصيدةِ نفسِها ... غــرَرُ المعــانِي مــنكمُ تنثَــالُ

لو كــان «شَــوقي» في الحيــاةِ لجاءَكم ... مُتنَــازلاً، وأتَــاكمُ «إقبــالُ»!

أرجــوكَ تمتعُنــا بــشعرِك دائــماً ... فهــو النّمــيرُ العَــذبُ والسلــسَالُ

وانــشرهُ لا تبخَــل كمثْــلِ «محمَّــدٍ» ... نَفــسي بــهِ تتحقّــقُ الآمَــالُ

والرسْــمُ[1] يُغــري نــشرُه ولأجلــهِ ... قــد ثــارَ بــينَ الغانيــاتِ جِــدالُ

هــذي تقــول: هُــوَ الــشّبابُ بعينِــه ... وتقــولُ أخــرَى: إنَّــهُ محتــالُ

أخفَــى تجاعيــداً ولونــاً أبْيَــضاً ... فالرَّســمُ للــصّيدِ الثّمــين حِبــالُ!

* * *

(١) يعني به: صورة الشاعر التي نشرت إلى جوار القصيدة المشار إليها.

إلَى مُعجَبٍ!

١٠/ ٤/ ١٤٠٣هـ:

يـا مُعجَبـاً كلِفـاً بـ(قِيـلَ وقَـالوا) ... مَهْـلاً ولا تمـضي بـكَ الأقْـوالُ
فـالقولُ أمـرٌ لا يحقِّـقُ مطلَبـاً ... وطريـقُ غايـاتِ المنَـى: الأفعـالُ
والـشعرُ في عُـرْفِ الجميـعِ: هِوَايـةٌ ... وغوايـةٌ، وتـصوُّرٌ، وخَيـالُ
ولـه إذا دعـتِ الأمُـورُ مواقـفٌ ... يَمـشي أمـامَ صُـفُوفها يختـالُ
وقـد افتقـدتُكَ يـا «حَبيـبُ» وأنـتَ في ... سـاحِ القَـريظِ النّـادِسُ الجـوالُ
ولـك البيـانُ وطَـوعُ أمـركَ في الـورَى ... قلـمٌ إذا جرّدتَـهُ سـيالُ
فحملتُ عنكَ العِـبءَ يـا ابـنَ أبي؛ ولي ... فـيكُم وفي تقـديرِكُم آمَـالُ
وقـد انتظـرتُ جـزاءَ مـا قدمتُـه ... مـا شـأنه: كَـرمٌ لكُـم ونـوالُ
وتطلعـتْ نفـسي لـردِّ جَميلكُم ... فـإذا أنَـا في عُـرفكم: طَبّـالُ!
أمـشي بقافلَـةِ الزمَـانِ مـصفِّقٌ ... ومزمِّـرٌ أو مـادحٌ زجّـالُ
مـاذا جنيـتُ لأبـتلَى بـصُدودِكُم ... وتـشُدُّني الأصـفادُ والأغْـلالُ
ألأنِـي أنـشَدتُ شـعراً عـنكمُ ... أمـلاهُ ظـرفٌ واقتـضاهُ الحـالُ
الحـقُّ أولى أن يقـالَ بـرَغْمِ مـا ... يحكَـى هنالَـكَ أو هنَـا ويقـالُ
والحـقُّ أبلـجُ منطِقـاً في العالميـ ... ـنَ ومـا سِـواهُ فباطِـلٌ وضـلالُ

(فامدحْ على الحقِّ الرجالَ ولُمهمُ) فالحربُ فيه المتحاربينَ سِجالُ
قُل ما بدَا واعملْ لصالحِ أمّةٍ عصفتْ بها النكباتُ والأهوالُ
قُلْ ما تشاءْ وجُدْ ووَاسِ جماعةً أودَى بها وبأرضِها الزلزالُ
قُلْ ما تشاءْ وأغِثْ فقيراً جَائعاً ضاقتْ به وبأهلِه الأحوالُ
دَعْ عنك لَومي يا صَديقُ فَما أنا مَن تَشتريهِ مظاهرٌ أو مَالُ
واقصُصْ علينَا من حديثِ الغَانيا تِ فنطقُهنّ جَواهرٌ ولآلُ
رَسْمي أثارَ فضولهنَّ فكُلَّ وا حِدةٍ لها رأيٌ به وسُؤالُ!
هذي تقولُ: شَبابه متفَتِّحٌ (وتقول أخرَى: إنه محتالُ)!
يا حبّذا صخَبُ الغَواني عندَما يعلُو لهنّ تخاصُمٌ وجدالُ
وتهبُّ كلُّ مليحَةٍ لتحاورَ الأ خرَى ويبدُو العِقدُ والخلخالُ
قل لي بربكَ: كيفَ كان صِراعُهـ ـنَّ؟ وكيفَ كان الفَرُّ والإقبالُ؟
والمعجباتُ؛ هلِ اختلفنَ لِصُورَتي وارتاحَ مِن شَكلي لهنَّ البالُ!

* * *

ما للكَمانةِ؟!

رجب ١٣٧٢هـ:

ما للكمانَةِ يا عِصَامْ ... قد لفَّها جُنحُ الظّلامْ!
والعُود ماذا نابَهُ؟ ... حتى نَوى عنّا اعتِزامْ
أتراهُما في عُطلَةٍ ... أم نحنُ في شَهر الصِّيامْ؟
أم أن أربَابَ الهوى ... مرَّت بهم سِنَةُ المنَامْ
أين الفتَى الحبَشيْ[1] فإن ... ربابَه تبكِي هُيَامْ
لا تنقَضي في لوعَةٍ ... فعلامَ يهجُرها عَلامْ
و(بَشِيرُ) ربُّ العُود كيـ ... ـفَ دعاه يقتلُه الغرامْ
وجفَاهُ دون مبرِّرٍ ... وهو الحريصُ على الذِّمامْ
بالله بالدينِ الحنيفِ ... بالركنِ بالبَيتِ الحرامْ
بالفنِّ إن قدَّستَهُ ... بالحسنِ في أسْمَى مقامْ
قُمْ يا عميدَ فريقِنَا ... وتولَّ أمرَكَ والزِّمامْ
واعزِفْ على قيثارَةٍ ... ألحانُها تَشفي السّقامْ
واسجَع بصوتكَ داوياً ... رغْمَ التنابلةِ اللئامْ

---

(١) هو صديق الشاعر؛ السيد الأديب عبد القادر بن حسين الحبشي.

مـــن حرّمُـــوا مـــا حلُّـــه ... وأباحَـــــه ربُّ الأنـــــامْ
وتفنَّنُـــــوا في كيـــــدِنَا ... ظلـــماً وحقـــداً وانتقـــامْ
قُولـــوا لهـــم: يـــا أمَّـــةً ... من جَهْلها ضحِكَ الأنـامْ
مـــاذا عـــلى مـــن راقَـــهُ ... لـونُ الملاحَـةِ مـن مَـلامْ
أو شَـاقهُ الوجْـهُ الجميـــ ... ـــلُ كأنـــه بـــدرُ الـتّمامْ
أو هـــامَ حبـــاً في الحيَـــاة ... بـــأهيفٍ لَـــدِنِ القـــوامْ
أو هـــزّه الـــوتَرُ المـــرِنُّ ... كأنّـــه ســـجْعُ الحـــمامْ
قولـــوا لهـــمْ: لا تطمَعُـــوا ... أن تزعِجُـــوا أهـــلَ الغـــرامْ
إن الحيـــــاةَ بدُونـــــه ... يـــا جَامـــدين لهـــم حَـــرامْ
هـــو روحُهـــم وهـــوَاؤهم ... وهـــو الغِـــذَا وهـــو المنـــامْ

❊ ❊ ❊

سَلاماتْ!

تعرضت إحدى السيارات التي تقل بعض الطلبة من الخبر إلى الثانوية بالدمام، في أحد الأيام لزلق شديد، مما جعلها تميل بهم عن الخط، وتترنح يمينا وشمالا، الأمر الذي عرض حياتهم للخطر، وكان من بينهم صديق الشاعر الفنان عبد الرحمن الرويعي، فانتظمت بين يديه على إثر سماعه بالحادث هذه الأبيات التي أرسلها توا إلى صديقه الفنان:

الخبر في شعبان ١٣٨٢هـ:

أحصِّنكُم من الزلَقِ ... بربِّ الناسِ والفلقِ
وبالقُرآن والأورا ... د في صُبحٍ وفي غَسقِ
وبالأذكَار في حلَقَا ... تِ كلِّ مَشايخ الطُّرقِ
وبالفنِّ الرفيعِ وما ... حوَى من عَاطر العبَقِ
سلُوا سيارةَ الطلا ... بِ ماذا بانَ في الأفُقِ
فأبعدَها عن الخطِّ ... وسيِّرها بمفترَقِ
سلُوها ما دهى عجَلا ... تِها فمشَتْ على رمقِ
فهل مالَ النعاسُ بجفـ ... ـنها من شدَّة الأرقِ؟
وهل شربتْ من الصَّهبا ... ءِ أو من خالِص العرَقِ!

وهــل حنَّــت إلى إلْــفٍ وهل حلمَتْ بوصْلِ تقي
سأقــسِم! لا بهــا سُــكرٌ ولا شيءٌ مــن القلَــقِ
ولا شَــوقٌ ألمَّ بهــا إلى ذي صَــبْوةٍ نــزِقِ
ولا سَــهرٌ ولا ظَمــأ ولا جُــوعٌ إلى طبــقِ
ولكــنّ الوجيــهَ شَــدا لهــا بغنائِــه اللَّبِــقِ
فأفقــدَها شــجيُّ الــصّو ت ســيراً جِــدَّ متَّــسِقِ
فهبَّــتْ تنثَنِــي طربــاً كغُــصنِ البانَــةِ القلِــقِ
ومالَــتْ يــسْرةً ومــضتْ مــع الألحــانِ في نَــسَقِ
هــو الفَــنُّ ولــيس الفــنُّ إلا رأيُ معتَنِــــــــقِ

* * *

لم تُفدْ صُحبَةٌ!

في حادث سيارة للشاعر وهو يقود سيارته:

لم تُفِدْ صحبةٌ ولا الشِّعرُ أجدَى ... نظمُـه أيهـا الأديـبُ المفـدَّى
قُضيَ الأمـرُ وانتهَـى دون أن نمـ ... ـلكَ أو نـستطيعَ للأمْـرِ صـدَّا
علـمَ الله يـا محمَّـدُ أني ... لـك أخْفـي بـين الجـوانحِ وُدَّا
قـد عَرفْنـاكَ يـا صـديقُ كـريماً ... كم إلى النـاسِ مـن جميلٍ أسْـدَى
وعرفْنـاكَ لا حريـصاً عـلى جـا ... هٍ ولا طاغِيـاً ولا مُـسْتبدا
قُضيَ الأمرُ قد تجاذبَتهـا الأيـادي ... وقـد اسـتنفدتْ مجيئـاً وردا
وأتـاني الرسـولُ يطلـبُ إحـضَا ... ري ويُمـلي عـلى كَفـيليَ وعْـدا
سـوف آتي ولـن تلـينَ قَنـاتي ... راضـياً بالنظـامِ بنْـداً فبنْـدَا
غـيرَ أني أعيـذُ أن لا تُلاقـي ... أمَّـةُ الـشعر فيـكَ عونـاً وعَـضُدا
أمِـنَ العـدلِ أن يعاقـبَ بالسجـ ... ـن أبيٌّ مـا جـاءَ شـيئا إدا؟
أمـنَ العـدلِ أن يـساق أديـبٌ ... ضمْنَ من كـان مجرمـاً أو وَغْـدا؟
دَولةُ الشعرِ سوفَ تغضبُ للشِّعـ ... ـر وتُحـصي هـذي المهـازلَ عـدَّا
دولةُ الـشِّعر سـوف تعلـنُ حربـاً ... لا تراعـي عهـداً ولم تبْـقِ فَـرْدا
ولهـا في البيـانِ خَـيرُ سِـلاحٍ ... وهي أقوى بأساً وأعظَـمُ جُنْـدا

أَقبَلَتْ!

إلى شاعرِنَا وأدِيبنَا، **الأستاذِ عبد القادر سَالم خَرِد**، رداً على مقطوعَتِه الرقيقةِ العَصْماء. مكة المكرمة؛ ٢/ ٢/ ١٤٠٢ هـ:

أقبلتْ تلفِتُ النظَرْ ... بينَ من حجَّ واعتمَرْ
بقَوامٍ مهفْهَفٍ ... وفتُونٍ لها أُخَرْ
بعد هَجْرٍ مطوَّلٍ ... سامحَ الله من هَجَرْ
أشْهرٌ خمسةٌ مضَتْ ... سَاءَ عيشِي بهَا وقَرّ
وهْيَ في كِبريَائهَا ... لا تبقّي ولا تَذرْ
تجعلُ العينَ مركَباً ... ولها في السّماءْ ممَرّ
وأنا أرقُبُ القدُو ... مَ علَى الجمْرِ أو أحَرّ
رُبّما كان ربُّها ... وهْو مَن يمعِنُ النظَرْ
باحِثاً لاقْترانِها ... عَنْ زعيمٍ له خَطرْ
أو ثَريٍّ تكدّستْ ... في سَراديبِه الصُّررْ
لم يكُن في حِسَابِنا ... يا أخَا الشِّعْرِ مَا بدَرْ
مرحَباً باللّتي جفَتْ ... ثُمّ جاءتْ على قدَرْ
لم يضِرْها مَسِيرُها ... لا ولا شُقّةُ السّفرْ

وبـدتْ للعُيـونِ جَـذّا ... بـــةٌ تُبهِـــرُ البـــصَرْ
نَـــضْرةٌ في خـــدُودِها ... واحمـــرارٌ مـــن الخفَـــرْ
ولهـــا مـــن جُفونِهـــا ... حـارسٌ يرسِـلُ الـشرَرْ
آهِ ! لـــــولاَ موانِـــــعٌ ... وقليـــلٌ مـــن الأثَـــرْ
لتفنّنـــتُ في القَـــصيدِ ... وجَـــسّمتُه صُـــوَرْ
يتهَـــادينَ مَـــاثلا ... تٍ ويـــنطِقنَ بـــالعِبَرْ
ولرصّـــعْتُ جيـــدَها ... بـــاللآلي وبالـــدُرَرْ
ونجـــومٍ بريقُهَـــا ... يحجُبُ الـشمسَ والقَمَـرْ
«قُـلْ لمـن لامَ في الهـوَى» ... لا تَلُـمْ فـالهوَى قَـدرْ
ودعِ النـــاسَ يعـــشَقُو ... نَ ما أحبُّوا مـن الـصُوَرْ
كلـــما لاحَ بـــارقٌ ... ذكَـــر الله مَـــن ذكَـــرْ
أتُـــرَاهُم ملائِـــكٌ ... أم تُـــراهُمْ مـــن البَـــشَرْ
أم جَمـــادٌ مـــسَنّدٌ ... دونَ حِـــسٍّ ولا أثَـــرْ
بعـضَ مـا أنـتَ واجِـدٌ ... أيهـــا الـــسيدُ الأبـــرّ
وقلـــيلاً مـــن الحنـــانِ ... وقَلـــيلاً مـــن النظَـــرْ
قـــد عَرفْنَـــاك شَـــاعراً ... شِـــعرُه رَقَّ وانهمَـــرْ
كيـف تقْسُو عـلى امـرئٍ ... مـــا تجنّـــى ولا غـــدَرْ
ذنبُـــه إنّـــه اكتـــوَى ... بلظَـى الحـبِّ وانـصَهرْ
فمـــضَى يمـــلأُ الـــدُّنا ... بأناشـــيدِه الغُـــرَرْ
وتغنّـــتْ بـــشِعْرِهِ ... عـرَبُ البَـدْو والحـضَرْ

وقضَى العمرَ ما قضَى ... من ملذّاتهِ وطَرْ
يا «لَقَيسٍ» ويَا لَمَا ... نالَهُ من أذَى البَشرْ
يا أديباً خِلالُه ... خلتُها نسْمةَ السحَرْ
نقّلِ الطّرْفَ حيثُ شِئْـ ... ـتَ تَرى ما أساءْ وسَرْ
وترَى ما صفَى لكُم ... في هوَى غيرِكُم كَدرْ
رأيكُم كانَ واقِعاً ... فارِضاً واقِعاً أمَرّ
وأرَى الشِّعرَ عالماً ... من خيالٍ ومن فِكَرْ
وله صَبوةٌ إذا ... ما بَدا الحسنُ أو خطَرْ
وكذا الناسُ والحيا ... ةُ زُمَرٌ عكسُها زُمَر
وصَحيحٌ وباطِلٌ ... وارتفَاعٌ ومنحدَرْ
وقلوبٌ من الهواءْ ... وقلوبٌ مِنَ الحجَرْ
هكَذا شاءَ ربُّنا ... فليكُونوا كما أمَرْ
أينَنِي مِنْ أحبّةٍ ... ملكوا السمْعَ والبَصرْ
وفُؤاداً بحُبِّهم ... ومَوالاتِهم عَمَرْ
إن تناءَت ديارُهم ... وتوارَوا عن النظَرْ
فلهُم في جَوانحِي ... ومقَرٍّ الحشَا مقَرّ
ذكرُهم أنْسُ وِحْدَتي ... وهمُ الضوءُ في السَّمرْ
وهم الأهلُ في الحمَى ... وهمُ الزادُ في السفرْ
وهمُ الماءُ إن ظمِئْتُ ... وإن غبّني المطَرْ
وهم الطبُّ والطّبيبُ ... إذا مسّني الضّررْ

ليـــــتَهُم يقبلَـــــونَني خادمـــاً أتبـــعُ الأثـــرْ
ليـــــتَهم ينظرونَنـــــي وكفَـــى مـــنهمُ النظَـــرْ
إنهـــم ســـادةُ الحيـــا ةِ ومَـــصابيحُها الغُـــرَرْ
«أحمَـــدٌ» سَـــيدُ الـــورَى مـــن بِـــه شُرِّفـــتْ مـــضَرْ
و«عـــليٌّ» و«فاطمَـــةْ» مَـــن أتـــتْ فـــيهِمُ الـــسُوَرْ
و«الحسينانِ» سيدا الشـ ـــبَابِ في طيّـــبِ المقـــرّ
خمـــسةٌ جـــلَّ شـــأنُهم بهـــمُ الـــذنْبُ يغتفَـــرْ
وبهـــمْ يُـــدَفعُ الـــبَلاءْ وبهـــمْ ينقَـــضي الـــوَطَرْ
الكـــسَاءْ حـــينَ ضَـــمّهمْ مـــالَ واختـــالَ وافتخَـــرْ
وهْـــوَ لم يحْـــوِ غـــيرَهُم فاسألُوا عنـــهُ مَـــن حَـــضرْ
واسْـــألوا «آيـــةَ المبَـــا هلَـــةِ» العلْـــمَ والخـــبَرْ
هـــل عنَـــتْ غـــيرَ سَـــادتي أو سِـــواهُم مِـــن البـــشَرْ؟
ربِّ زِدْني بهـــمُ هُـــدًى واجْـــرِهِ في دَمِـــي نَهـــرْ

* * *

وَيلي مِنكَ يا «غَيثانُ»!

سعدَ «الشيخ غَيثان بُكَيِّر»؛ بمرافقَة الأديبِ الشاعر الكبير السيد أحمد بن علي بافقيه، في «رحلته العلاجية» التي كان أساسَها تبديلُ الجو والراحة والاستجمام، فبدت الرّحلة متناقضةً لا تستقيم مع منطِق الأمُور!

و«غَيثانُ» ليس له في دُنيا الشّعر ناقةٌ ولا جمل! ورُغم كلّ ما توقّع المتوقعُون، فإن السيدَ الشاعر الكبير، أحبَّ أن يسجّل تقديرَه لزميل الرحلةِ: «غَيثان»، سجّلها أبياتاً شعرية؛ ٨/ ٣/ ١٤٠٤ هـ:

«غَيثانُ» ويلي منكَ يا «غَيثانُ» ... حملتَني ما لم يطِقْ إنْسانُ
وأخذتَني في رحْلةٍ جويّةٍ ... تعلُو بنَا وتحطُّنَا أحْيانُ
حتّى هبطنَا ذاتِ صبحٍ «لندَنَ» ... والمزنُ في جنباتها هتّانُ
والشمسُ مشرِقةٌ ببعضٍ آخر ... والجوُّ يبدُو منظرٌ فتّانُ
ودليلُنا «الدكتُور حامِدُ» إنّه ... في «لندَنٍ» ذو خبرةٍ؛ رُبَّانُ!
ومشيتُما بي مسرعَين لفندقٍ ... فيه تلاقَى الحورُ والغِزلانُ
وقضيتُ أول ليلةٍ أشكُوى النّوَى ... ويلفُّ صَمْتي البعدُ والحرمَانُ
وأبيتُ في قلَقٍ وفي أرقٍ وفي ... شَوقٍ كأني عاشقٌ ولهانُ
وتنامُ أنت كما تشاءُ وتبتَغِي ... وعليكَ من سُحُبِ الهنَا دخّانُ!

وتغُـــطُّ في نـــومٍ ثقيـــلٍ حَالمـــاً ... أن قَـد حوتْـكَ مـن النعـيمِ جِنـانُ

وهنـا «أبوفَـضلٍ» يـردِّد: لا يَـسُدُّ ... فـراغَ وحْـدةِ مـثلِكم «غَيثـانُ»

سلّم عليـه؛ وقـلْ لَـه: يـا صَـاحبي ... مـا أنـتَ والـرحَلاتُ والطّـيَرانُ!

إن كنـت تنتهـزُ الظـروفَ فهـذِه ... ليستْ على «فِرْعـونَ» يـا «هامَـانُ»!

وتـــوَخَّ ذا أدبٍ يكـــونُ مُرافِقـــاً ... يَـــزنُ الأمـــورَ أمامَـــه مِيـــزانُ

لبـقَ الحـديثِ إذا انـبرَى متحـدِّثاً ... أصـــغَتْ لحلـــوِ حديثِـــه الآذانُ

وهـو ابـنُ بَجـدَتها إذا مـا احتجتَـهُ ... فهـــو امـــرؤٌ مـــتكلمٌ رطّـــانُ

هـــذا كـــلامُ «أبي الفَـــضائلِ» إنـــه ... يَهـذي ومـا أدراكَ مـا الهـذَيانُ!

دعـــهُ يتيـــهُ فقـــد ترفـــعَ غـــيرُه ... وتكـــبرَت وتجـــبرتْ مَـــروانُ!

دعْـهُ وزُرنـا كَـي نـردَّ جميلكُم ... إن الجميـلَ جـزاؤُه الإحـسَانُ

وإذا عزمـتَ فبيتُنـا في «الكنـدرا» ... وجـواره «باشَـيخُ» و«البَـازانُ»

سـنقيمه حفْـلاً بِمثلِـكَ لائقـاً ... يـأتي إليـهِ الأهـلُ والخـلّانُ

وستـسمعُون مناقِبـاً مـا خطّهـا ... قلـمٌ! ولم يحفُـلْ بهـا دِيـوانُ!

سـأقولُ فيـكَ قـصائداً شِـعريةً ... مـا قالهـا «شَـوقي» ولا «مطْـرانُ»!

وسـندعُوَ الـدكتور «حامـدَ» قائليـ ... ـنَ لـه: تعَـالَ فعنـدنا «غَيثـانُ»!

* * *

غزلیات

ناعسةُ الطّرْفِ[1]

أسْمَرا؛ شعبان ١٣٦٦ هـ:

أناعِسةَ الطـرْفِ هـلاَّ ادكَـرْ ... تِ لقاءً لنا بين هَذي الزهُـورْ
حبيبـينِ نرشُـفُ خمـرَ الهـوَى ... وحيـدَين لا عـاذلٌ أو غيُـورْ
سمَى الحبُّ عن كلِّ هـمٍّ بنَـا ... فلسنا نَرى غـيرَ دُنيـا الحبُـورْ
تعـالَي نعِـدْ ليلـةً خلَّـدَت ... هوانا على صفحاتِ الـدهُورْ
ونرسِـلُ في الأفْـقِ ألحانَنـا ... تردِّدهـا سـاجعاتُ الطيُـورْ
تعـالي فـذا الجـوُّ هـادٍ جميـلٌ ... وذا الأفقُ مرآه يوحيْ السّرورْ
وهـذا النـسيمُ يهـبُّ علـيلاً ... فيـشرحُ للعاشـقينَ الـصدورْ

* * *

---

(١) من بواكير شعره.

أميرَ الهوَى!

أمـير الهـوَى هـلا سـمحْتَ بـزورةٍ ... إذا ما طوانَـا الليـلُ والكـونُ هـاجِعُ
نقـضّي سـويعاتٍ وحيـدَين دونَـما ... رقيـبٌ إلى نجـوَى الحبيبـينِ سـامعُ
وننعمَ بعْـد الهجْـرِ والبعـدِ والـضَّنى ... وتخـضرُّ في دنيـا هَوانـا المرابِـعُ
سَـبانيَ منـكَ اثنـانِ: قـدٌّ مهفْهـفٌ ... رَشـيقٌ ووجْـهٌ للمحَاسـنِ جَـامعُ
وجودُك يا رُوحي وجُودي فإن تِغبْ ... فـإني إلى أن ألتَقـي بـكَ ضـائعُ
إذا رمتُ أن أخفِي اشتياقي ولَـوعتي ... أمـامَ الـورى خانـتْ قُـوايَ المـدامعُ
أغثنـي بمـن سـوَّاك للنـاسِ فتنـةً ... فـإني إلى لقيـاكَ ظمـآنُ جـائعُ

* * *

دَعْهَا تَثُورُ

نُشرت بملحق المدينة المنورة عدد (٦٢)، بتاريخ: ٢٤/ ٧/ ١٤٠٤هـ:

دعهَا تثورُ براكيناً وأهوالاً ... دعها تحيلُ الرَّواسي الشمّ زلزَالا

وترسِلُ الزفرةَ الحرّى مؤجَّجةً ... ناراً تلظّى وغِسْلِيناً وأنكَالا

دعْهَا تحوزُ كما شاءَ الجمالُ لهَا ... وأن تتيه كَما تهوى وتختَالا

فسوفَ تأتي وتأتي وهي نادمةٌ ... وتسْكبُ الدمعَ هتّانا وسيّالا

وسوفَ تسمعُ منها كلّ قافيةٍ ... نظمتُ فيها أناشيداً وموّالا

دعها تقولُ ففي أخْلاقِهِنّ ثوى ... طبعٌ تحكَّم أطْواراً وأحوالاً

تُبدي التمنُّع حيناً وهي طامعةٌ ... وتلبسُ الكِبر جلباباً وسربَالا

أستغفرُ الحسْنَ هل لي أن أقاومَه ... وفيه عاديتُ أحباباً وعُذّالا

وعشتُ طيراً أغنّي في حدائقه ... وفي مغانيهِ صَوّالاً وجَوّالا

وغبتُ عن كل ما حولي سِواه أرَى ... في الصبح لَيلاً وفي شعبان شَوّالا

إن العيون التي في طرفها حَورٌ ... لطالما قرّبت يا صاحِ آجالا

وذاتِ حُسنٍ رأت ضَعفي ومَوجَدتي ... وشاردات على فكري ولا بالا

جاءت لتسقيَني ماءً فقلتُ لها: ... يا ربّةَ الحسنِ جلّ الحسنُ أفعالا

خلّي الشراب فليس الماءُ من طلبي ... فالماءُ ملكُ يدِي نهراً وشلالا

إني عليـلُ غـرامٍ فـتّ في عـضدي ... وهـدّ جِـسمي فحـالي بعـدهُ حـالا
أعيـذُ كـلَّ جمـالٍ مـن مخاتِلـة ... تميلُ صـوبَ هواهـا حيـثُ مَـا مـالا
كفَـرتُ بالحـسْنِ أن تُـشرَى ممالكُـه ... كفـرتُ بالحـسنِ خـدّاعاً وقتّـالا

رَجْعُ الأُمنِيةْ[١]

اتهمني بعضُ الإخوة بالتجني على الجمال في قصيدتي «**دعها تثُور**»، ووصمني البعضُ الآخر بضَعف العاطفة، فإليهم جميعاً مع حبي وتقديري أهدي هذه النفثة:

قالوا تفجّرتَ أشعاراً فقلتُ لهم ... ما هذي غيرُ أناتي وآهاتي

إذا سجَى الليلُ أرخيتُ العنانَ لها ... فحلقتْ عبرَ آفاق السماواتِ

تسري مع الريحِ أشواقاً مجنَّحةً ... ترثي وتبكِي ليالينا الجميلاتِ

إلى أناسٍ تولّوا مُهجتي فهمُ ... سَعدي ونحْسي ونِيراني وجَناتي

هم علّمُوني القَوافي كيفَ أنظِمُها ... واستأثرُوا بهمُومِي واهتماماتي

فيا رعَى الله عَيشي في منازلهم ... ويا رعَى الله أيامي وسَاعاتي

إن الهوَى ويحَ من خاضَتْ مراكبُه ... عبابَه، عالمٌ صعبُ القياداتِ

يظلّ صاحبه في موقفٍ ضَنكٍ ... مشوَّشَ العقل مسلوبَ الإراداتِ

وقائلينَ: تجنَّى في «قَصيدتِه» ... وجاوز الحدّ في بعضِ العباراتِ

وقال ما قالَ في ذات الجمال، فهَل ... تراهُ يطلبُ عند الحسنِ ثَاراتِ

حاشاي أنكرُ نورَ الشمس مشرقةً ... فذاك من مستحيلِ المستَحيلاتِ

أو أغمطُ الحقَّ أزهارَ الوجودِ ومِن ... عبيرها تنتَشي دُنيا المسراتِ

---

(١) نشرت بملحق جريدة المدينة المنورة، عدد (١٨)، بتاريخ ٦/ ٩/ ١٤٠٤هـ.

لهـــنَّ عنـــدي مقَـــامٌ لا يطاولُـــه ... مغـــالطٌ مـــسرفٌ في الادعـــاءاتِ

لهـــنّ شِـــعْري أغنّيـــهِ وأكتبُـــه ... من ذَوبِ قلبي ومـن تقطيـعِ أنَّـاتي

محجباتٍ تـديّرن القـصورَ عـن الأ ... نظـار أو سَـانحاتٍ في العـشياتِ

لهن ما شئنَ من حُزني ومـن فرَحـي ... ومـن معانـاةِ فكـري أو خَيـالاتي

إلا الكرامةَ عنـدِي فـوقَ عَـاطفتي ... وصـونُها مـن بديـه الأبجَـدياتِ

فقـل لمـن يـدَّعي في الحـبّ فلـسفةً ... ليس الهوَى أن نضحّي بالكَرامـات

لا أبتغـي الحـبَّ عـن ذلٍّ أمارسُـه ... إن المذلـةَ ليـسَتْ مـن هِوايـاتي!

* * *

إلى جِيرَةِ الـمُنْحنَى

تـرفعتمُ يـا جـيرةَ المنحنَـى عنَّـا ... وخَيّبْـتمُ بعـدَ الرجَـا فـيكُم الظنّـا
وأمعنتموا في الصدِّ والهجرِ والجفَـا ... وفي طلبِ اللقيا بكُـمْ نحـنُ أمعنّـا
رعَـى الله أيامـاً مـضتْ ولياليـاً ... خلـتْ كنـتمُ فيهـا لنـا مـثلَما كُنّـا
تُعاطُونَنـا راحَ المـودةِ صَـافياً ... فتـسقُوننا دنّـاً ونـسقيكمُ دنّـا
فـماذا عـدَى ممَّـا بـدَا يـا أحبتـي؟ ... وماذا جرَى في حقّكم يا تُرى منّـا؟
أهِـمُّ بـأن ألقَـى الـصدُودَ بمثلِـه ... فيمنعُني ما يمنعُ العاشـقَ المـضْنَى
وأزجُـر رجـلي أن تمـرّ بحَـيكم ... فتأبى ولا تـرضَى بمغنـاكمُ مغنَـى
وقفنَـا هوانـا منـذُ كنّـا علـيكمُ ... ولم نفتَـتِن يومـاً بهنـدٍ ولا لُبنَـى
فأحرَى بكم أن لا تجورُوا وتظلِمُوا ... وأحرَى بمثلي أن يعاملَ بالحـسْنى
تلومونُنـا والعتـبُ فـيكُم سَـجيةٌ ... وإن نحـنُ لمنَـا لا تعيرونَنـا أذنـا
ولا ذنـبَ إلا أننَـا لم يَـرُق لنـا ... سِـواكُم وأنّـا في محبـتكم ذُبنـا
إذا غبـتمُ نستفـسِرُ الـريحَ عـنكمُ ... وإن نحن غبنا لم نجد سائلا عنـا[1]
وإن نحن غبنَا أو مرِضَنا هوًى بكُم ... وضِعْنا اشتياقاً لم نجـدْ سَـائلاً عنّـا
صِلُوا أو فـصُدّونا ولا تحفَلُـوا بِنـا ... إذا نحـنُ عرّجنـا علـيكُم وسـلّمنا
فإنـا سـنبقَى حـافظينَ لعهـدِكم ... نردّد فيـه الـشعرَ واللحـنَ والمغنـا

---

(١) شطر آخر: «ونسألُ بطنَ الأرضِ والأنسَ والجِنّا»، كتبه الشاعر في وسط القصيدة بخطه.

شِعْري!

إلَى التي سألتني: في أيِّ وادٍ من أوديةِ الشعرِ أهيمُ؟

سألتينيَ عن شِعْري! ومَا أدرَاكِ ما شِعْري!
وما أدراكِ ما الأشجانُ والأحزانُ في صَدْري
وما أدراكِ ما الأحلامُ والأوهَامُ في سرّي
فما شِعريَ إلا صُورَةُ الواقعِ من أمْرِي
وما ألقاهُ في دنيَايَ من حُلوٍ ومن مُرِّ
هو الأشواقُ أرسِلها مع الليلِ إذا يَسري
هو الأناتُ أبعثُها تذيبُ جلامِدَ الصّخرِ
هو الرقةُ في الألحانِ أو في نِسْمةُ الفَجْرِ
هو الصهباءُ من كأسا تِها منظَرُها يفْرِي
هُو الزهْرُ وهل أحلَى لعينيكَ من الزّهْرِ
خُذيهِ مجَدِّداً شَوقي خُذِيهِ فاضِحاً أمْرِي
خذيه من دَمي ينسا بُ يا مَن أشغَلتْ فِكري
خُذيهِ واقْرئِي أبيا تَهُ للبيضِ والسُّمرِ
وقولي لبناتِ الحيِّ مسكينٌ فتَى الشِّعرِ

يعـــيشُ متـــيمَ اللـــبِّ ويحيَـــى ضـــائعَ العُمـــرِ
وجِدِّي واهجُرِي ما كَانَ شئت مِن صدٍّ ومن هَجْرِ
ومَنّينـــي وزِيـــدي لَـــو عَتِـــي جَـــمْراً عـــلى جَمْـــرِ
فـــإني قـــانعٌ راضٍ بـــما يرضـــيكِ مـــن أمْـــري

* * *

إِيْطَالِيةٌ!

إيطَاليّـــةٌ حُـــسنُها نـــابوليٌّ ... وفيـهِ سِـماتٌ مـن المـشرِقِ
عجبتُ لهـا جَمعـتْ بـين لَـو ... نَـينِ سـحرُهُما قلّـما يلتقِـي
لَواحِظُهـــا متعـــةُ النـــاظرِ ... يـنَ ومجلـسُها جُنّـة المتّقِـي
وتحكِـــي وتمـــزحُ في لثغـــةٍ ... فتأخذُ مِنْ عَقلِهـمُ مـا بقِـي
أحَبّتْ من اللُّبسِ لون السَّوا ... دِ حكَى رقّةً ذوقُهـا المنتقِـي
فزادَ وأضفَى عـلى جِسْمها ... بهـاءً مـن الأروَعِ الـشّيقِ
سَـوادٌ عـلَى بـدنٍ أزهَـرٍ ... فيَـا لي مـن ذلـك الرّونَـقِ!

أسمرا

* * *

لاَ تلُمْني!

لا تلُمنِـــي إذا تعلَّـــقَ قَلبـــي ... وسَـــبَتْني نعُومـــةٌ ونـــضَارهْ
لا تلُـمْ مهجَتِـي إذ سَـجّلَ الحُـسـ ... ـنُ على خَاطري وفكري انتـصَارَهْ
وإذا مـــا رأيتَنـــي عاشِـــقاً للـــوَ ... رْدِ يَومـــاً أو قَاطِفـــاً أزهَـــارَهْ
لا تلُمنِـي فالحـبُّ سـلطانُه أقـ ... ـــوَى ونيرانُـــه أشَـــدُّ حَـــرارَهْ

* * *

مَن أنا! أيُّ مَنعَةٍ يا تُـرى عِنـد ... ي بهـا أتّقِـي سِـهامَ العُيـونِ
وخـــدوداً تـــورّدتْ وقُـــدوداً ... تَتهـادَى كَمائـساتِ الغُـصونِ
وارعَنِي هـذا الجـمالَ ودَعنِـي ... في سُكوني وعُزلَتي وشُـجُوني
وتـــذكّر تـــاريخَ لَـــيلى ومَـــاذا ... فعلَـتْ بـابنِ عمِّهَـا المجنُـونِ

* * *

مـــا أنـــا غـــيرُ طَـــائرٍ في سَـــماء الـــ ... ـحُبِّ دَامي الخطَى مهيضُ الجناحِ
مـــا أنَـــا في مَراتـــعِ الغيـــدِ إلا ... ريـــشةٌ في مهـــبِّ هُـــوج الرِّيـــاحِ
أو طريحـــاً مرنَّحـــاً ثَمِـــلاً مِـــنْ ... غَـــيرِ مَـــا خَمـــرةٍ ولا أقْـــدَاحِ
أو صَريعـــاً تناوَشـــتْهُ بِـــلاذَ ... نْـــبٍ ولا رحمـــةٍ لحـــاظُ المـــلاحِ

* * *

لا تلمني إن كنتُ حاوَلتُ أن أنجُو ... بنفْسي من الهوَى لا تلُمنِي
فكفَاني ما نلتُه من صُدودٍ ... وجحُودٍ ولَوعةٍ وتجنّي
ضاعَ عُمرِي ما بينَ مَدٍّ وجَزرٍ ... ووعُودٍ مكذُوبةٍ وتمنّي
رُبَّ حُسناً وثقتُ فيها فأمسَتْ ... لستُ منهَا يوماً ولا هيِ منّي

* * *

أنا لا أملكُ اتّزاني ولا ألْو ... ي عِنَاني إذا رأيتُ جَميلا
وسواءٌ عنديْ شربتُ أجاجاً ... في هَواهُ أو بارداً سلسَبِيلا
لي فؤادٌ يحسُّ شَوكَ الهوَى وَرداً ... وحرَّ الجوَى نَسِيماً عَلِيلا
ولهذا سقطتُ صَباً مُعنّى ... وتهاويتُ بَينهُنّ قَتِيلا

* * *

متفرقات

القَمَرُ الروسيُّ

أولُ قَمرٍ أرضي تجاوزَ الجاذبيةَ الأرضيةَ، واتخذ له مداراً حولها، واصطحبَ معهُ الكلبة (لايكَا):

أطلقُــوهُ فهــبَّ يطْــوي الفَــضاءَ ... وتعــالَى يُطَــاولُ الجــوزَاءَ
ســابحاً في عــوالم الأفــقِ يعْــدُو ... لا يبــالي الإعْــصارَ والأنــواءَ
يحــسِنُ اللــفَّ جِيئــةً وذَهابــاً ... ويجيــدُ الحــديثَ والإصــغاءَ
ســامقٌ يرسِــلُ الإشــاراتِ عِلْــماً ... وينــاجِي بــسرِّه الخــبراءَ
يــا لــهُ مــن معلَّــمٍ أدهــشَ العــا ... لــمَ طُــراً وحَــيّر العُلــماءَ
فــإذا هُــم مــن صــنعهِ في ارتبَــاكٍ ... وذُهــولٍ لا يــسمعُونَ نِــداءَ
وإذا جمعُهــم إمــامٌ عَظــيمٌ ... بــزّهم عبقريــةً ودهَــاءَ
قُــل لمــن مــسّهُ الغُــرورُ: روَيــداً ... ولمــنْ يــدّعي: دَعِ الخُــيَلاءَ
هاهُنــا مــوطِنُ النبُــوغِ فمَــنْ را ... مَ مكانــاً فليغــزونَّ الــسماءَ
أو ليــصمُتْ فلــم يعُــدْ ثــمَّ قــولٌ ... لــدعيٍّ يطــاولُ البلغــاءَ
أيهــا الطّــائرُ المحلّــقُ لا زَا ... داً لدَيــهِ ولا يريــدُ المــاءَ
مُــوغِلاً في فَــضائِه مُستَــشِفّاً ... سِرَّ مــن حَــلَّ القُبّــةَ الزرقــاءَ
قُل لَنا: كيفَ حالُ من سَكنُوا الجوَّ؟ ... وهَــلْ فيــه مــن يطِيــقُ البقَــاءَ؟
كيــفَ أشــكالُهم؟ وكيــفَ المبَــادِي؟ ... قُــل لنَــا هــلْ وجــدتَها حَمــراءَ

وهَـل القـومُ في صِراعٍ وهَـلْ عَيـ ... ـشَـتهُم مثلُنـا تثِـيرُ الرثَـاءَ
يوسِـعُون الـضّعيفَ ظلـماً ويُـسْد ... ونَ إلى الغاشِـم القـويِّ الثنَـاءَ
وإذا مَـا قَـضيةٌ شَـغلتهُم ... حكّمـوا فيهـا البغْـضاءَ والـشّحناءَ
أم تُـراهم يـا صَـاحِ أعقَـلُ مـن أنْ ... يرتَـضُوا عيـشَنا وأرقَـى ذكَـاءَ
أيهـا «الكَلبـةُ الـسّعيدةُ»! يـا مَـنْ ... طوّفـتْ في دقـائقِ الأجْـواءَ
حـدّثينا عـن الكَواكـبِ هَـل لا ... قَيـتِ فيهـا معـاشراً أحْيـاءَ
وصِـفي عـالمَ الـسماءِ ومَـاذا ... في ذُراهُ؟ صِـفي الهـوَا والمـاءَ
وهـل العـيشُ فيـه سَـهلٌ رَخِـيٌّ ... وهـلِ الـريحُ فيـه تجـري رُخَـاءَ؟
خـافَ قـومٌ عليـكِ! فانـدفعوا بـا ... لاحتجاجـاتِ يَمْـلأونَ الـسّماءَ!
جَزعُوا - ويحهم - وهُـمْ حكَمُـوا أمْـ ... ـسِ عَـلى أمّـةٍ تَـمُوتُ عَـراءَ
شرّدوهـا عـن أرضـها وأحلـوا ... في حماهـا أباعـداً غربـاء
جزِعُـوا رحمـةً بكَلْـبٍ وهُـم لَـم ... يرحَمُـوا مـن ذويهـمُ الأبرِيـاءَ
«دَيـرُ ياسِـينَ» لم تحـرّكْ لـدَيهِمْ ... سَـاكناً يـومَ أصـبحتْ أشـلاءَ
واسألوا «القُدْسَ» عنهمُ واسألوا حيـ ... ـفا و«يافـا» وفِتيـةً عُـزّلاءَ
يـوم عـاثَ اليهـودُ قـتلاً وتدمـ ... ـيراً وصَـبُّوا عـلى بنيهَـا الـبلاءَ
هل رثَى حالَـهُم وهـل رَحموا شَيـ ... ـخاً صَريعـاً أو صـبيةً أو نِـسَاءَ
جَزعُـوا ويحهُـمْ وهُـمْ يَملأونَ الأرْ ... ضَ جَـوراً ويَـسفِكُونَ الـدِّماءَ

* * *

أيُّها القَمَرْ!

أيها القمرُ! لئن غزاكَ الإنسان؛ وكشفَ عن بعض زواياك، وطمِعَ في المزيد. لئن اكتشفَ فيك ما ظنّه البعضُ نقضاً للنظرة السائدَةِ إليك. فسوف تظل ذلك الكوكبَ المضيءَ، المطلَّ على دنيانا بوجهك الباسم الضّحُوك، تُسَامر العشاق، وتلهم الشعراء، وتهدي السائِرين:

سَتظلُّ تطِلُّ علَى البَشرِ ... بمُحيَّى مؤتلِقٍ نضِرِ
وتَذيبُ وتعكِسُ أنواراً ... سلوَى للقلبِ وللبصَرِ
ترسِلُها هادئةَ الألوا ... نِ بِلا منٍّ وبِلا كَدرِ
للمفتَرِشينَ لهم رَمْلاً ... والمتكئينَ على سُرُرِ
سيظَلّ الشّاعرُ يستوحيـ ... ـكَ قَصائِدَ خالدةَ الأثَرِ
ويظلُّ العاشقُ يَستَجدِيـ ... ـكَ حضُورَ الوعد المنتظَرِ
ستظلُّ بَهيجاً مبتَسماً ... تُغري باللهوِ وبالسّمرِ
رغمَ العذّالِ وما حملتْ ... آلاتُ «أبولّلو» من خَبرِ
وصَفُوكَ جماداً لا يَعْدُو ... كَوماً من طينٍ أو حَجرِ
وأخادِيداً وبَراكينا ... تَرمِي بالجمْرِ وبالشّررِ
هلْ فيما قَالوا مِن بَأسٍ ... هلْ فيما نقلُوا من ضَررِ؟
كان العُشّاقُ بفطْرَتهم ... لكَ أحباباً دونَ البشَرِ

واليــومَ فطاحِلــةُ العلــما ... ءِ إزائَـكَ مـشدُودو النظَـرِ
وكبــارُ القــادةِ والعظَــماءْ ... قَـد شُـغِفوا حُبـاً بـالقَمرِ
بــذلُوا الأمْــوالَ مؤثّلــةً ... وجُهــوداً مُــضْنيةَ الــسَفرِ
لــو أفنَوهــا في كــوكَبِهم ... لجنَــوا منهــا حلــوَ الثّمَــرِ
بــالعلمِ غــزاكَ الإنْــسانُ ... ومــضَى لا يعبــأُ بــالخطَرِ
يطْــوِي أجْــوَاءً نائِيــةً ... عاليــةً في لمــحِ البــصَرِ
بالعلمِ؛ ولـيسَ بغـير العلـ ... ـمِ يُـزاحُ حِجـابُ المـستَتِر
بالعلمِ؛ وليسَ العلمُ سِوَى ... ســلطانٌ ينطِــقُ بالقــدَر
مــن كــانَ العلــمُ لــهُ بابــاً ... دخـلَ المجهُـولَ بـلا حَـذرِ
وكـذا الإنـسانُ بـهِ أكـرِمْ ... وبــهِ أعظــمْ مــن مُنتَــصِرِ
أودَعــهُ العلْــمَ وألهمَــهُ ... مــن يعلــمُ خائنــةَ النظَــرِ

❊ ❊ ❊

وَجْهُ الحقِيقَةِ

كثيرونَ هم أولئك الباحِثونَ عن السعادة في غَير مواطنها، وكثيرون هم أولئك الذين يتعجّلونَ الأمورَ، ويتّبعون الظن، وربما اتهمُوا وأدانوا أحبة لهم أبرياء، ويعيش الشاعر متشبثاً بأواصر الألفةِ، مقيماً على العهد، لا يستبدل خلاً بخل، ولا صديقاً بصديق، متفاعلاً مع واقعِ أمته وهمومها، مثقلاً بشُجونها وشؤونها:

وجـهُ الحقيقـةِ يـا أولي الأبـصَارِ ... لا شيءَ يحجُبـهُ عَـن الأنظَـارِ
أنَـا مـن «غُزيَّـةَ» إن تقُـمْ أبـقَ ... وإنْ ترحَـلْ أشُـدُّ إزارِي
لا أرتَـضي خِـلاً بخِـلٍّ في مُعَـا ... ملَتـي ولا جَـاراً بـديلَ الجـارِ
مهـلاً فـديتُك يـا ابـن وُدّي إنّ بعـ ... ـضَ الظّـنِّ محسوبٌ مـن الأوزارِ
فلعـلّ لي عُـذراً وأنـتَ تلـومُني ... ولعـلّ لي حَقـاً وحلمُـكَ داري
مهْـما هجَـرتَ فـإن وُدّي ثابـتٌ ... أو كنـتَ بيّاعـاً فـإني شَـاري
قـد كنـتَ في المـاضي مِثـالاً يحتـذَى ... حـلّاك خلـقٌ كالنّـسيم السّاري
مـاذا دَهَـى الإنـسانَ في أفكـارِه ... ومـصيبةُ الإنـسانِ في الأفكـار!
أتُـراه عـادَ عليـكَ مـا لمَلَمْتَـهُ ... وجمعتَـهُ مـن فِـضّةٍ ونُـضَارِ
إن كنـت تطمـعُ في الـسعادة تلقَهـا ... تحتـلُّ زاويـةً بـسَاحِ الـدارِ
أتظنّهـا بـين «السِّماك» مكانهـا ... أو قلعـةً تحتـاطُ بالأسْـوارِ
أو طَلـسماً أعيَـى الفطاحـلَ حلُّـه ... أو سـلعةً تبتـاعُ للتجّـارِ

هـوّن عليـكَ مـن الأمـورِ عظيمَهـا ... ودعِ الخيـــارَ لحكمـــة الأقْـــدارِ
واعملْ وكَافحْ ما استطعتَ مـشمِّراً ... إن الكفـــاحَ مطيـــةُ الأحـــرارِ
دعْ كـــلَّ مـــاءٍ قـــد تغـــيّر طعمُـــه ... واشربْ مـن النبـعِ النميـرِ الجـاري
وإذا الربيـــعُ أتَـــى فـــصفّق للرّبـــ ... ـــيعِ وعِـشْ مـع الأزهَـار والأنهـارِ
واربَأ بنفـسِكَ أن تُـرى بـينَ الـورَى ... إلا عَزيـــزَ الـــنفْسِ والمقْـــدارِ
متحليـاً بـالعفْو والـصبرِ الجميـ ... ـــلِ مُتَـــيماً بـــالخيرِ والأخيَـــارِ
وإذا دعَـــاكَ إلى الرّذيلـــةِ فاســـقٌ ... دَعـهُ فـذلكَ مـن «**كِـلابِ النّـار**»
هـذي شـكاتُكَ فاستمعْ لـشِكايَتي ... فلعلّهـــا تأتيـــكَ بالأخبـــارِ
فلكُـــلِّ حـــيٍّ في الزّمـــانِ همومُـــهُ ... وحياتُنـــا جُبلَـــتْ عـــلى الأكـــدارِ
أنـا منـذُ أن وهنـتْ سـواعِدُ أمّتـي ... وعَـدا عليهـا كـل وحـشٍ ضَـارِ
وتنكـــرَتْ لتُراثهـــا ومـــشَى التّنـــا ... حُـــرُ بينَهـــا كالنّـــار كالإعْـــصَارِ
ألغيتُ من «برنَامجي» طيـبَ الكَـرى ... ومجـــالسَ النـــدماءِ والـــسُّمارِ
حطّمـتُ كـأسي! لا أريـدُ سُـلافةً ... وكرِهْـــتُ لـــونَ الخمْـــرِ والخـــمارِ
وعزفتُ عـن عـزْف **الكمانَـةِ والربَـا** ... بِ وعفْـتُ صَـوتَ النـايِ والمزمَـارِ
كيـفَ الـسّلوُّ وأمتِـي وعُروبَتـي ... مهتوكـــةُ البنيـــانِ والأسْـــتارِ
في كـلّ يـومٍ تـستغيثُ ولا مُغيـ ... ـــثَ يقيـلُ عثرتَهـا ولا مِـن جـارِ
وتظـلُّ تَـصرُخُ عـبرَ كـل «**وَسـيلَةٍ**» ... يـــا «**آلَ قَحطـــانٍ**» ويـــا «**لَنِـــزَارِ**»
عـــارِي يجلّلنـــي ويجـــرحُ عـــزّتي ... من لي بمَنْ يمحُونَ «**وصمةَ عَـارِي**»

* * *

مُوتوا بغَيظكُم!

إلى أولئك الذين أعمى الجهل بصائرهم، وأكل الحسد قلوبهم، وقعد بهم العجز والبلادة عن مجاراة الرجال، فقابلوا الإحسان بالإساءة، والجميل بالنكران:

موتُـوا بغـيظكُمُ والحقـدِ والكمَـدِ ... يا من رضَعتمْ لبـانَ الجهْـلِ والحسَدِ

فـضلي علـيكُم بـه الأيـامُ شـاهدةٌ ... مَهما جحدتم من الإحـسان كـلَّ يَـدِ

كفـاكمُ مـا بكُـمْ مـن سُـوءِ منقلَـبٍ ... ومن خمـولٍ ومِـنْ غـشٍّ ومِـن عُقـدِ

قُولـوا إذا غبـتُ عنّـي كـلَّ مختلَـقٍ ... وردِّدُوا ترَّهـاتِ المحـرَقِ الكبِـدِ

فلـن تفيـدَكمُ شـيئا مـزاعِمُكم ... وهـل يـضرُّ نُبـاحُ الكَلـبِ بالأسَـدِ

إني لأرثَـى لمـن في مِثْـلِ مَـوقِفِكُم ... يـا مـن فقـدتُمْ طباعـاً خـيرَ مفتقَـدِ

تـركتكُمْ وامتطيـتُ المجْـدَ منطلقًـا ... ونلتُ ما نلتُ من جِدِّي ومن جَلَدِي

وأنـتم بـين مَغْمُـورٍ ومطَّـرحِ ... وعَـاجزٍ قـاصِرِ التفكـير مُنتَقَـدِ

حتى إذا وضَحتْ شمسُ النهارِ لكم ... وبـانَ مـا بيننَـا مـن شاسـعِ الأمَـدِ

ثارت نفوسُـكمُ غيظـاً فـما وجَـدتْ ... لشأنكم رُغمَ صُغرِ الشَّأن مـن سـنَدِ

عذرتكُمْ ليس غيرُ الجهلِ من مـرَضٍ ... أعمَى خُطـاكمْ ولا أبقَـى عـلى أحـدِ

عـذرتكُمْ إن داءَ الحقـدِ أهلكَكُـمْ ... يا مَـن لمستُ مـدَى نكـرانِهم بِيَـدي

* * *

الخليجُ العربي ..

هــذا الخلــيجُ العَــربي اللؤلــــؤيُّ الــــذَهَبي
عـــلى روابي شـــطِّه تحلُــو ليــالي الطــرَبِ

* * *

يــا بُقعــةً خَــضْراء مـــن أرضِ العـــربْ
لــك عنــدَنا مــا شــئْتِ من طلبٍ وإن عزَّ الطلــبْ
نفــديكِ بالغــالي وبالغَــا لي يــضحّي مَــن أحــبْ

* * *

حلّقــتِ في أفُــقِ المعــالي وفتَنــتِ سُــمَّارَ الليــالي
وغــدَوتِ جَــوهرةً يتيــهُ بلونِهَــا عِقْــدُ الجــمالِ

* * *

إنا عــشَقنا منظــرَ الأصــيلْ على ضفافِ شطكِ الجميلْ
ملعَبِ كــلِّ أهيــفٍ نحيــلْ وكل طرفٍ ضَاحكٍ كَحيلْ

* * *

والأرضُ في تربتكِ الأمينةْ قد أودِعَتْ كنوزَها الثمينةْ
فانفجرَتْ خيراتها الدّفينــة عــلى ثَــراكِ نهــضةً وزينــةْ

میراث

رِثاءُ وَالدَةِ الشّاعرِ

البيتُ بعدَكِ أمسَى خَاويَ الحجَرِ ... ونحنُ فيهِ بلا حِسٍّ بلا أثَرِ
قد لفّنا الصّمتُ إلا صَوتُ دامعَةٍ ... أوادمِعٍ أو جَعتهُم ضربةُ القَدَرِ
حتى الصغارُ اختفَتْ عنهُم بشَاشتُهم ... ولم يُفِدْهُم نقيراً عَالمُ الصِّغَرِ
ما كنتُ أحسِبُ أنّ البعدَ يرصُدنا ... وأننَا في دَياجي ليلةِ السّفَرِ
وأننا بعدَ سَاعاتٍ مقدّرةٍ ... نغدُو جميعاً بلا سَمعٍ ولا بصَرِ!
حتّى قَضَى اللهُ ما شاءتْ إرادتُه ... وما قضَى ليسَ يغْني عنهُ من حَذرِ
وكان ما كانَ؛ مما هَدّ جانبَنا ... ونالَ منّا فما أبقَى ولم يذَرِ
كنا شكَونا النّوى حتّى إذا برئَتْ ... أشْواقُنا وتلاقَينا عَلَى قدَرِ
ذهبتِ طيّبةَ الأنفَاسِ عَاطرةَ الـ ... ـذِكرَى وخلفتِنَا للضُرِّ والكَدَرِ
وبعدَ يومِكِ لم تَصْفُ الحياةُ لنَا ... وأصْبَحتْ عبراتٍ ذُبْنَ بالعِبَرِ
ما عدتُ ألمحُ فيهَا منظَراً حَسناً ... فكلُّ شيءٍ أمَامي باهتُ الصُّورِ
نشَأتِ في طاعَةِ الله خَالصَةٍ ... ما شَابها في نعيمِ الأرضِ مِنْ وطَرِ
وعشْتِ صالحةً بالذكرِ مولَعَةً ... عندَ المسَاء وفي الآصَالِ والبكَرِ
صديقُ عُمرِكِ من كانتْ مجالسُه ... معمورةً بهُدَى الآياتِ والسّوَرِ
وكم تحملتِ في دنياكِ من نَصَبٍ ... وكم أرقْتِ مواساةً لمنكَسِرِ
وطالما ذرَفتْ منكِ الجفُونُ وكَمْ ... جادتْ بدمْعٍ على الأحبابِ منهَمِرِ

حتى غدَتْ لكِ روحٌ جِدُّ صَافيةٌ ... ترَى وتسمَعُ ما يخفَى على النظَرِ
كم أزعجَتكِ من الأحْلامِ طارقَةٌ ... فعشْتِ في قلقٍ منهَا وفي ضَجرِ
ولم تكُنْ تلكُم الأحلامُ عابرةً ... لكنهُ قَد تلاهَا صادقُ الخبرِ
فلتَذهَبي حَيثُ مَأوى الصّالحينَ وإنّـ ... ـا لاحِقُون بلا شَكٍّ على الأثَرِ

* * *

جَدِّي

بعدَ سمَرٍ عائلي ممتعٍ للشاعر، مع جده السيدِ عبد الله بن محمد بافقيه؛ الذي كانَ في تلك الليلةِ كأقوَى ما يكون، حَديثاً، وحَيويةً، فوجئَ الشاعرُ بمن ينبئه قُبيلَ الفجرِ بوفَاةِ جدّه على فراشِ النوم! وكان ذلكَ [بتاريخ]: ١٣/ ١٢/ ١٣٧٣هـ، دوعن، القرين:

أحقاً قضَيتَ العَهدَ يا حَافظَ العَهدِ ... وآثرْتَ دارَ الصّدقِ والعالم الخلدِيّ
وودعتَ دُنيانا على حِين غِرَّةٍ ... وفارقتَنا في مضجعِ النّوم يا جَدّي!
وقد كنتَ فينا أمسِ ترتَعُ صِحّةً ... وترفلُ من صَافي المسراتِ في بُرْدِ
وكنتَ مساءَ الأمسِ تجلسُ بيننا ... تسيّر مجرَى القَول بندا على بند
وكنتَ مساءَ الأمسِ تجلس بيننا ... بشُوشاً ضَحُوكاً تمزجُ الهزلَ بالجدِّ!
تحدّثُنا في بهجَةٍ ودُعابَةٍ ... تضَمّنُها ما شئتَ من خالصِ الرّشْدِ
وتلقِي علينَا في الحياةِ تجارِباً ... وتُسدي لنا نُصْحاً ألذَّ من الشَّهدِ
إلى أن مضَى من كاملِ الليلِ ثلثَهُ ... وأبديتَ إشْفاقاً علينا من السّهدِ
أمرْتَ بأن نَأوي إلى حُجراتِنَا ... فهلْ أنتَ يا مَولايَ كنتَ على وَعْدِ؟
وما هي إلا ضَجعةٌ حلَّ بعدَها ... قضاءٌ له لا يملِكُ المرءُ من رَدِّ
أتيتُ إلى حيثُ اضطجعتَ مُهَرْوِلاً ... أغالطُ نَفسي! فاقدُ الوعْي والرّشْدِ
كببتُ على فُودَيكَ أبكِي مُقَبّلاً ... جَبيناً لنَا يا طالما شعّ بالسّعدِ

أناديـكَ يـا زيـنَ التُقـاةِ وسـيدَ الـ ... ـتِقاتِ ويـا عَـالي المطَالـبِ والقَـصدِ
أناديـكَ: «جَـدّي»! في التيـاعِ وحَـسْرةٍ ... وفي لهفـةٍ جلـتْ عـن الوصْـفِ والحـدِّ
أناديـكَ والآلامُ تـنهشُ مُهجَتِـي ... وفي القلـبِ إعـصَارٌ يكـادُ بـه يُـودِي
أناديـكَ في غَـمٍّ وكَـربٍ وحُرقَـةٍ ... فلـمْ أحـظَ يـا خـيرَ النُّهـى منـكَ بـالرّدِّ
وفي الـدارِ حَـولي أسرةٌ لـكَ عِنـدَها ... من الحزنِ والأشْجانِ أمثـالُ مـا عنـدِي
عـلى رأسِـها زوجٌ قـضتْ كـلَّ عُمرِهـا ... تبادِلُـكَ الإخـلاصَ في صَـادق الـوُدِّ
تُـسَائِلني ـ مِـسكينَةً ـ مـا بَـدا لكُـمْ؟ ... ومـا جَـدَّ في هـذا الـصباحِ مـن الجـدِّ؟
ومَـا علمـتْ أنـا تنَـاثرَ جمعُنَـا! ... وأنّـا فقَـدْنا اليـومَ «واسِـطةَ العِقْـدِ»
نعَوكَ! ولم ينعَوا سـوَى الفـضلِ والنّهـى ... سِوَى الزُهْدِ والتقْوَى سِوَى بَاذِخِ المجـدِ
فَـوا أسَـفاً إن قَـدْ غـدَوتَ مجنْـدَلاً ... بغـيرِ حِـراكٍ لا تعيـدُ ولا تُبـدِي
وواحـسْرَتي أن لا أرَى وجهَـكَ الـذِي ... تَـشعُّ سـماتُ الفـضلِ منـهُ عَـلى بُعـدِ
وأُمـسي ولم أسْـمَعْ إذا جنّنـي الـدُّجَى ... مناجـاةَ «عبـد الله» للـصّمَدِ الفَـرْدِ
ودونَـك يـا زيـنَ التُقـاةِ مكانـةً ... أعِـدّتْ لأهـلِ الله في جَنـةِ الخلْـدِ

* * *

فقيدُ حَضْرمَوت ..

في رثاء زَعيم البلاد السيدِ مصطفى بن أحمد المحضار، المتوفى بدوعن؛ الأربعاء ٨ رجب سنة ١٣٧٤هـ، وقد ألقيتْ في حفلة التأبين الكبرى التي أقيمت بدوعن في اليوم الرابع لوفاة الفقيد العظيم:

دوعن؛ ١٢ رجب سنة ١٣٧٤هـ:

عَقَدَ الخطبُ منطقي ولساني ... فبماذا أَرثِي فقِيدَ الزمانِ

من مُعيري يراعَه لحظاتٍ ... فيَراعي قد خَانني وجفَاني

نالهُ من صُروفِ دنياهُ خَطبٌ ... رُجَّ من فَرط هولِه المشرقانِ

وانحنَى منه دوعنٌ وكسَتهُ ... ظلةٌ من سحائبِ الأحزانِ

فغَدا كاسفاً وأمْسَى كئيباً ... بلْ يتيماً من لليتيمِ العاني؟

يا لصوتٍ دوَى فدوّى له الوا ... دي ومادَت جبالُه والمباني

أعلَنَ الحادثَ المهولَ على النا ... سِ فخارت عزائمُ الشجعانِ

قال: أودَى ربُّ الندى مصطفَى الـ ... ـمحْضارُ وانهدَّ أمنعُ الأركان

وخبَا ذلك السراجُ الذي شعَّ ... سَناه للمدلجِ الحيرانِ

وهوَتْ قبةُ المكارمِ والفضْـ ... ـلِ ودُكّت منارةُ الإحسانِ

واشقاءَ النفُوسِ واحسْرة الأكبا ... دِ واضيعةَ المنَى والأمَاني

يـا فقيـدَ الـدِّيار يـا سـيِّد الأبـ ـــرارِ يـا مَـن رقَـى عـلى الأقـرانِ
يـا مـلاذَ الـبلاد يـا كعبـةَ القـصَّـ ـــاد فيهـا يـا مُـروِي اللهفَـانِ
يـا عِـمادَ الـوادي إذا مـسَّه الـضـ ـــرُّ وحاميـهِ مـن عَـوادي الزمـانِ
خطبـك الفـادحُ المـؤثِّر أدمَـى كـلَّ قلـبٍ وهـدَّ كـلَّ كيـانِ
لم تجـدْنا مِـن بعـدِه بـين مكلـو مِ حـزينٍ محطَّـمِ الوجْـدانِ
وكئيـبٍ جـمِّ الأسَـى واجـمَ النفـ ـــسِ وبـاكٍ وذاهـلٍ حـيرانِ
يـا حبيـبَ القلُـوب نَـم! إنّ ذكـرا كَ عـلى كـلِّ خـاطرٍ ولـسَانِ
سوفَ تحكي عنكَ الليـالي وتـروِي وتغنِّـي قوافِـلُ الركْبَـانِ
بعَديـدٍ مـن المـبرَّاتِ والآثَـا رِ خُطَّـت عـلى جبـينِ الزمـانِ
ونـدًى يخجِـلُ الـسحابَ إذا جـا دَ وأهمَـى بالـصيِّب الهتَّـانِ
وإلى المنـزلِ الرحيـبِ مـن الخلْـد وداعـاً إلى رفيـعِ الجنـانِ
وسـلامٌ عليـكَ يـا مـصطفَى الـوا دي المفـدَّى ويـا وحيـدَ الزمـانِ

* * *

فَقيدُ الفَضائلِ

في رثاء فقيد الفضائل والمكارم، السيد علوي بن محمد المحضار، المتوفى بدوعن في جمادى الأولى سنة ١٣٧٨هـ:

الخبر؛ جمادى الأولى سنة ١٣٧٨هـ:

شـيِّعوا إثـرَه العُـلَى والمكـارِمْ ... وأقيمُـوا عليـه كُـبرَى المـآتمْ
وانـدُبوا المجْـدَ باذخـاً ومَـشِيداً ... واندُبوا الفضلَ والنهى والعـزائمْ
وارفعوا خالصَ العزاءِ إلى الأخـ ... ـلاق في الأريحيِّ مـن آل هاشـمْ
ودعُوا الجودَ يبكِـه فمـصَابُ الـ ... ـجودِ فيـه وخطبُـه متفَـاقمْ
واجمِعُـوا أمـركم فـما علـويٌ ... غـيرُ ليـثِ العَـرينِ أو كالقاسِـمْ
فقـدَت فيـه حـضرموتُ عظـيماً ... نـادرَ المثـلِ في الرجَـال الأعَـاظمْ
طيِّـبَ الـذكر نـيِّر الفكـرِ محمُـو ... دَ السُّرى واضـحَ المحجَّـةِ حـازمْ
ثابـتَ الـرأي هادئـاً مطمئنـاً ... لا يبـالي بـما روَتـهُ المـزاعمْ
ألمعـيٌّ كـم كـانَ بالمثُـلِ العلـ ... ـيا شَـغُوفاً وبالفـضَائل هـائمْ
عاشَ ملء الأسْماع في الناسِ والأ ... صَار ملء القلوبِ ملءَ المفـاهمْ
لا يُـرَى غـير مـصلحٍ همُّـهُ أن ... يجمـعَ الـشمْل أو يـردَّ المظـالمْ
أو كـريمٍ نوالُـه يخجـل الـضيـ ... ـفَ ويزري بما حكَوا عـن حـاتمْ

أو حليمٍ عـافٍ عـن النـاس مهـما ... بـــالغُوا في أذاهُ للغـــيظِ كـــاظمْ
أو رحـــيمٍ موفَّـــقٍ يـــصنعُ المعـــ ... ـروفَ جمـا أو سَـاجدا أو صَـائمْ
تلكَ يا قومُ بعضُ أوصَافِ علَويْ ... فَـــأروني نـــدًّا لـــه أو مُـــزاحمْ
بعضُ أوصافِه ولو شئتُ أحـصِيـ ... ـها لـضاقَتْ بهـا بطـونُ المعـاجمْ
وكـأني بـه عـلى الربـوَةِ الـشمّـ ... ـاءِ في منـزلٍ عـلى الفـضْل قـائمْ
رائحـاً غادِيـاً بطلعتِـه الغـرَّا ... ءِ في بِـــشْره الحبيـــبِ المـــلازمْ
بـين أضْـيَافه الكثـير يحيـيـ ... ـهِم ويُزجي لهـم شـهيَّ الـولائمْ
غـامراً جمعَهُـم بخُلـقٍ عجيـبٍ ... أيـنَ مـن لطفـه أرقُّ النـسائمْ
شـبَّهوا خُلقَـه ومـا أنـصفُوه ... بالبـساتينِ في الربيـعِ الحـالمْ
أيـن لـونُ الريـاضِ داعبَهـا المـاءُ ... نمـيراً وظللتهـا الغمائِـمْ
من بشاشاتِ وجهـهِ وهـو دومـاً ... لم يـزلْ مـشرقَ الأسرَّة باسِـمْ
يـا أبـا جَعفـرٍ رمتْنـا الليـالي ... فيـكَ بالحـادثِ العتـيِّ الـدّاهمْ
فكـأني بـدوعنٍ يـومَ منعَـا ... كَ كئيبـاً وحُزنُـه مـتراكمْ
ظللتـه الأشـجانُ فـالأرضُ حَـ ... ـزْنَى كـساهَا الـسوادُ القـاتمْ
وكـأني بأهلِـه ذاهـلٌ أو ... قاعدٌ مـن فداحـةِ الخطـبِ قـائمْ

* * *

فَقِيدُ الشّعْبِ[١]

فجَعتنا الأيامُ على حين غِرّةٍ في أستاذنَا وصَديقنا الأديبِ الشاعر، والصحفي المعروف، السيد حسين بن محمد البار، فإلى رُوحِه الطاهرة أهدي هذه القصيدة؛ محرّم ١٣٨٥هـ:

عَـــزِّ الـــشبابَ الحـــرَّ في صَـــفوتِهْ ... وانـــدُبْ لُبَـــابَ المجْـــدِ في ذروتِـــهْ

وعِـــجْ عـــلى الـــوَادي تجـــدْ سُـــوحَه ... واجمـــةً تُفـــصِحُ عـــن نكبَتِـــهْ

ولا تسلْ عما أصَابَ «القِـرَينَ»[٢] ودَعْـ ... ـــــهُ مطوِيّـــاً عـــلى لوعتـــهْ

ولا تقـــل إلى «الأحقـــاف» حـــر العـــزا ... ءِ وانْـــعَ الأديـــبَ «البَـــارَ» في أمّتِـــهْ

فجُرحُـــهُ أعمَـــقُ مِـــنْ وَصْـــفةٍ ... أوْ رُقيَـــةٍ تَـــشْفيهِ مِـــنْ علّتِـــهْ

وقُـــل لهـــا: يَـــا «حـــضْرَموتُ» احـــزَني ... فقـــد نـــأى الـــصدّاحُ عـــن رَوضَـــتِهْ

وصـــوّحتْ أغـــصَانُها بعـــدَهُ ... وأقفَـــرَ المعـــشِبُ مِـــن بَهجَتِـــهْ

وسَـــكتَ الـــشّادي الـــذي طَالمـــا ... هـــزَّ الـــرّوابي صـــوتُ قِيثَارَتِـــهْ

أيَـــا غائبـــاً قَـــدْ بكَـــاهُ الحجَـــا ... والفهـــمُ والنبـــلُ ضُـــحَى غَيبتِـــهْ

تلـــكَ البـــشاشَاتُ وتلـــكَ الـــرُّؤَى ... وروحُـــك الـــدّائمُ في نَـــشْوَتهْ

---

(١) ألقيتْ في الحفلة الكُبرى التي أقيمت بالمكلّا، (أقامتها «الندوة الموسيقية»)، بمناسبة مرُور أربعين يوماً على وفاة الفقيد، ونشرت في مجلة «الطّليعة» الحضرمية، (عدد ٣٠٠).

(٢) «القِرَين»: بِوادي دوعن؛ مسقط رأس الفقيد، (الشاعر).

والمـــرَحُ المطبُـــوعُ والخلُـــقُ الـــسمـ ـــــحُ الـــذِي كُوّنـــتَ مـــن طِينَتِـــهْ
كيف اختفتْ؟ كيفَ طواهَا الرّدَى؟ ولفّهـــا الـــصّمْتُ بأحْبُولتِـــهْ!
والهـــفَ نَفْـــسِي لحبيـــبٍ مَـــضَى ولرفيـــقٍ خـــفَّ في مِـــشْيَتِهْ
وغَـــابَ عـــن أنظارِنَـــا فَجْـــأةً في لحظَـــةٍ كَـــالبرْقِ في سُرعَتِـــهْ
فاضْـــطَرَبَتْ مِـــن بَعـــدِهِ حَالُهَـــا وانفـــرَطَ العِقْـــدُ عَـــلى رَبّتِـــهْ
وخَـــيَّمَ اللّيـــلُ عَـــلى دَرْبِنـــا فلـــم نعُـــدْ نقْـــوَى عَـــلى رُؤيَتِـــهْ
كيـــف وقـــد كـــان محـــطَّ الرجَـــاءْ وحَـــاديَ الرّكْـــبِ إلى غَايتِـــهْ
وكـــان بـــدرَ الـــتّمِّ إنْ أظلَمَـــتْ ونُزهـــةَ الجُـــلاّسِ في حَـــضرَتِهْ
وشَـــاهدُ الطّيبـــةِ في سَـــمْتِه ونقـــرأ الإخـــلاص في طلعتـــهْ
طَلَـــقُ المحيّـــا لكـــأنّي بِـــه توسَّـــطَ الـــسّامرُ في جِلْـــسَتهْ
وهَـــبَّ بـــينَ الـــصّحْبِ مُـــسْتَرسِلاً جَرْيـــاً عَـــلى المـــألُوفِ مـــن عَادَتِـــهْ
يَـــا راحِـــلاً عنّـــا عـــلَى غِـــرّةٍ في فـــترةٍ كالليـــلِ في ظُلْمَتِـــهْ
أبكيـــكَ مِـــن قَلـــبٍ صَريـــعِ الأسَـــى حَـــيرانَ لـــمَّـــا يَـــصْحُ مـــن صَـــدمَتِهْ
أبكيـــكَ للإلهـــامِ، للفَـــنِّ، لـــلا بـــداع، للفِكْـــرِ، لحرّيتِـــهْ
أبكيـــكَ لـــلآدابِ، للـــشّعرِ في خَيالِـــه الخـــصْبِ ودِيبَاجَتِـــهْ
أبكيـــكَ للأحـــرارِ في دَرْسِـــهِمِ وللنِّـــضَالِ الحـــرِّ في حُوفتـــهْ
أبكيـــكَ للـــشّعبِ لمـــستَقبَلٍ يَرنُـــو إليـــهِ كُنـــتَ مِـــنْ عَدّتِـــهْ
يَـــوم يُنادينَـــا مُنـــادي الفِـــداءْ ويفْـــزَعُ الـــشّعبُ إلى قادتِـــهْ
مـــن كُـــلّ مَـــاضٍ عزمُـــه أصْـــيدٍ تَخالُـــه كاللّيـــثِ في غَـــضْبتهْ
فخانَـــت الأيـــامُ تقْـــديرَ مَـــا نَرجُـــو وغَـــدْرُ الـــدّهرِ مـــن سُـــنتهْ

«حُسَينَنا» فَقدُكَ أدمَى الحشَا ... وأخرجَ العاقِلَ عن حِكمَتِهْ

لكنّه سَهمُ القضَاءِ الذِي ... لا نملكُ الإفلاتَ من رَمْيَتِهْ

وهاكَها بعضَ فُرُوضِ الوِلا ... تحيةَ المخلصِ في عِشْرَتِهْ

سَفَحتُها مِن كَبِدي عَبرَةً ... والقَلبُ من فَقدِك في محنَتِهْ

* * *

إلَى عَـنْـبـرَ[1]!

حملَ إلينا (العددُ ١٤٧) من «**مجلة الرائد**» الغراء بالمكلّا، كلمةَ الوفاء في فقيد اللطف والظّرْف، المرحوم **بُوعبَيد**، جاشت بها خواطر أمين سره الخاص «**عنبر**»، وما «**عنبرُ**» هذا! غيرُ الأديبِ **الشاعر حسين بن محمد البار**، فإلى روح **بوعُبَيد**، وإلى أمين سره، تهدى هذه القصيدة:

عَـزاءً يُـذهِبُ الأحْـزانَ ... في مـولاكَ يـا «عَنْـبَر»
عـزاءً في فَقيـدِ التّبـ ... ـرِ واليَـاقُوتِ والعَنْـبرْ
وفي مَـن سـكنَ القَـصْرَ ... وفي مَـن عـرَفَ العنـبرْ
وفي مَـنْ مَـدَّ سـلطاناً ... عَـلَى اليـابِسِ والأخْـضَرْ
وفي ربِّ الملايـينِ ... وفي جامعِهَـا الأكـبرْ
وربِّ الـصّحنِ ذي الحـولِ ... وذي الطَّـولِ وذي العَـسْكرْ
وذي الآيَـاتِ في الإقنَـاعِ ... كالـصُّبحِ إذا أسْـفَرْ
فمـن آياتِـه الكُـبرَى ... ومَـا لم نَـرَهُ أكـبَرْ
عَيانـاً أنّـهُ في لمحَـةٍ ... كَـالبرق أو أقْـصَرْ
يحيـلُ المـاءَ (بِـتْرُولاً) ... بِـه أسـطُولُه يمْخَـرْ

---

(١) نشرت بمجلة «**الرائد**» الغراء، (الشاعر).

وإن أودِعَ (بِـــــتْرُولاً) تجـــلّى ذَهبـــاً أصْـــفَرْ
وإن ألقِـــيَ في بَحْـــرٍ جَـــرتْ أمواجُـــهُ كَـــوثَرْ
وكَـــم ســـبّحَ لله وكَـــم صـــلّى وكَـــم كـــبّرْ
وكـــم عمّـــرَ في الأرضِ وكـــم طَـــارَ وكَـــمْ أبْحَـــرْ
ومـــن آياتِـــه: النطْـــقُ وكـــشفِ المغلَـــقِ المـــضْمَرْ
ومنهَـــا: أنّـــه ينهَـــى عـــنِ الفحْـــشاءِ والمنكـــر!
وأن يُنـــشي علاقَـــاتٍ مـــعَ الأسْـــودِ والأحمـــرْ
وأن يبنـــيْ مـــن الحلـــوَى قُـــصُوراً ومِـــنَ الـــسّكّرْ
ويـــا مـــن جَهِـــلَ الـــصَّحْنَ! فمَـــولاهُ بـــهِ أخْـــبَرْ!
ومـــا الـــصَّحنُ سِـــوَى لُغـــزٍ لمـــنْ قَـــدّرَ أو فكّـــرْ
وما الـصَّحنُ سـوَى مُعجِـزَ ةٌ تُفحِـمُ مَـن فَـسَّرْ
ومـــا الـــصَّحنُ سِـــوى سِرٍّ بـــبطْنِ الغَيـــبِ لم يُنـــشَرْ
ورزقٌ دونَـــما سَـــعي دحَـــاهُ الخـــالقُ الأكْـــبَرْ
إلى «بُوعُبَيـــدٍ» في يَـــومٍ فـــما استعلَى ومـــا استكبَرْ!
أمـــينَ الـــسِّرّ لا تحـــزَنْ ولا تَـــأسَ ولا تَـــضْجَرْ
فـــما الـــدّنيا وأهْلُوهَـــا سِـــوَى طيـــفٍ سَريـــعِ مَـــرّ
وكُـــنْ للرّاحـــلِ الأوّابِ نِعْـــمَ اللطـــفُ في المعـــشَرْ
وكُـــن في الأهْـــلِ ذا عَطـــفٍ وكـــن في تابِعيـــهِ بَـــرّ

* * *

مُعلِّمُ الجيلِ

في رثاء فَقيدِ العلمِ والعمَل، الفقيه المحقق، **السيد علوي بن عبد الله السقاف**؛ ١٣٩٢هـ:

فُقِدَتْ بفقدِكَ يا أَبَا الأشبالِ ... أسمَى الرِّغَابِ ومعظمُ الآمَالِ

ومشَى أولُو التقوَى يعزّي بعضُهم ... بَعْضاً بدمعٍ هاطلٍ متَوالي

شَعُروا غداةَ رحلتَ أيَّ خسارةٍ ... حلّتْ وأودَتْ بـ«الحبيبِ» الغالي

وتلفتُوا فإذا المعاهِدُ في وجُو ... مِ لاختفاءِ **مُعلِّمِ الأجيالِ**

وإذا القضاءُ وقَد خلتْ سَاحاتُه ... من فقْهِ هذا العَالم المفضَالِ

مُتطلعاً عمّن يسدُّ فراغَه ... بالعَدل والفُتيا والاسْتدلالِ

وغزارةٍ في العِلْمِ يُترَكُ بعدَها ... أثَراً من الأقْوالِ والأفعَالِ

يا سيداً أجهدتَ نفسَكَ في انتهَا ... جِ الصّالحاتِ فنَم قَرِيراً سَالي

واهنَأ بما قدّمتَ من عملٍ لوجْـ ... ـهِ الله في حِلٍّ وفي تَرحَالِ

فلكَمْ رعيتَ من الشبابِ طَلائعاً ... كَانوا سَنا فِكرٍ ورُسُلَ معَالي

وبنيتَ للأخلاقِ صرحاً شامخاً ... فتفيئُوا من ظِلهِ بظِلالِ

وبنُوك أكْبرُ شاهدٍ فيما نقُو ... لُ وهُم لعَمْرُ الحقِّ خيرُ مِثالِ

و«المسجدُ المعمورُ» شِدتَ بناءَهُ ... أُسُساً موطّدةً وسَمكاً عَالي

وبـذلتَ فيـه مـن الجهُـود عَجائبـاً ... ووقفْـتَ منـه مواقـفَ الأبطَـالِ

ولـئنْ لقيـتَ عَوائقـاً؛ فطريـقُ كُـ ... ـلِّ مجـدّدٍ مـا كـانَ يومـاً خَـالي

والنـاسُ منـذُ عـرفتُهم وخَـبَرتُهم ... يحيَـون بـينَ مُعـارِضٍ ومُـوالي

حتـى إذا أزفَ الفُـراقُ وحَـانَ أن ... يقـفَ الـسُّرَى بالفَـارِسِ الجـوّالِ

أسْلمْتَ في «مصْرَ» العِنـانَ وكـمْ بهـا ... مـن صَـالحٍ ألقَـى عـصَا التِّرحَـالِ

حيثُ «**الإمـامُ الـشافعي**» و«**زينـبٌ**» ... ومقـامُ «**سـيِّدنا شَـهيدِ الآل**»

سِـبطُ الرسُـولِ ابـنُ البتـولِ ويـا لَـهُ ... ممَّـا تحمّلـهُ «**الحـسَينُ**» ويَـا لِي!

وهنـاكَ ودعْـتَ البـسيطةَ راضـياً ... وذهبـتَ مرْضِـياً خَـليَّ البـالِ

ورحلْـتَ تبكيـكَ الـديارُ وأهلُهَـا ... وأوْلُـو النُّهَـى وجَلائِـلُ الأعْـمالِ

* * *

فقيدُ المنابرْ

في المرحوم العلامة السيد سالم بن علوي خرد؛ ١٥/ ٤/ ١٣٩٨هـ:

أينَ وليتَ يا فقيدَ المنابرْ؟ ... يا أخَا الوعظِ يا جليلَ المآثرْ!
يا ابنَ علَويْ هل ضقتَ بالناس ذرْ ... عاً فشددْتَ الرحالَ عنهم مُسافرْ
عشتَ فيهِم تدعُو إلى الله دهْراً ... شَاعراً أو محدِّثا أو مُحاضرْ
فإذا هُم يخادعون ويبغُونَ ... ويُبْدونَ غيرَ ما في السّرائرْ
كنتَ فينا نوراً يضيءُ دياجيـ ... ـنا وغادرْتَنا كطيفٍ عابرْ
وتركتَ النفوسَ كلْمَى حيارَى ... ورسمْتَ الأسَى على كلِّ خاطرْ
فنعتْكَ الجموعُ من كلِّ سنٍّ ... وبكتْكَ القلوبُ قبلَ المحاجِرْ
لا رعَى الله ساعةً قد فقدْنا ... بينها المرشدَ الأديبَ الشاعِرْ
وخسِرنا معلماً دمِثَ الأخـ ... ـلاقِ جذّابها رقيقَ المشاعرْ
أنجبتْه تريمُ موطنُ أهلِ الـ ... ـعلم والفضْل كابراً عن كابرْ
وارتوَى من معينها العذْبِ فاشتدَّ ... تْ قُواهُ بصيرةً وبصائرْ
ومضَى في حياته ينشُد الخيـ ... ـرَ مريداً على خطَى القومِ سائرْ
ينشرُ العرفَ والفضيلة والإيـ ... ـمَ والعلمَ بين بادٍ وحاضرْ
معلِناً رأيَهُ جريئاً شُجاعا ... لا يبالي في دربِهِ بالمخاطرْ

هاهُنا كان يملأ الحفلَ بين الـ ـناسِ إما مذَكِّرا أو ذاكرْ
أو منيباً مرتِّلا لكتابِ الله في نغمةٍ تهزُّ المشَاعرْ
لم يزلْ صوتُه الشجيُّ له ما بين أسماعِنا رَنينٌ سَاحرْ
هاهُنا كان يبذلُ النصْحَ في الله فيحْيي به موات الضّمائرْ
فاذكروهُ بالخير وارجُوا له الرحـ ـمةَ والعفْوَ من كريمٍ غافرْ

* * *

رِثَاءُ الجفْري[1]

«السلامُ عليكم ورحمة الله وبركاته

سادتي ..

إن مقامَ الفقيد لعظيمٌ جدا، وعظيمٌ عليَّ أن أفي بشئ أو ببعضِ شيء من حقه، ولكنني قد ترجمتُ شعوري وإحسَاسي إزاءَ فاجعةِ فقْدِه وموتِه ببعضِ أبياتٍ، لعلها تعبر عن بعض ما أنا أقاسيه»:

عندمَا يرسلُ القضَاءُ سِهامَهْ ... لا يفيدُ الأسَى وعُمْقُ النَّدامةْ

لا تَسلْني عما جرَى فقضَا ... ءُ الله فينَا منفِّذٌ أحكامَهْ!

لا تَسلْ ما دَهى طُيورَ الرَّوابي ... وأغاريدَها وسَجْعَ الحمامةْ

لا تسلْ كيفَ صوّح الزهْرُ في الحقْـ ... ـلِ وقد شَمَّ في الدُّجَى أنسَامهْ

لا تسلْ كيفَ خيَّم الليلُ صبْحاً ... في حمانا وجفَّت الابتِسَامةْ

وترفَّقْ بنَا فإنَّا فقدْنا ... بطلاً يصغُر الكثِيرُ أمامَهْ

وعظيماً أملَى على عارفيهِ ... وذوي الرأي حبَّهُ واحترامَهْ

في حمَى الأزهَرِ الشَّريف تغذَّى ... وسُقي في تَريمَ كأسَ المدامَةْ

---

(١) من الكتاب الوثائقي الذي صدر بعد مرور أربعين يوما على وفاة السيد محمد علي الجفري، وتضمن فعاليات المشاركات في تأبين ورثاء الراحل الكبير: ص١٠٧-١٠٨.

مـــن رعيـــلٍ مُواجِـــهٍ لـــيسَ ممَّـــنْ ... إن دعَـا الخطـبُ يـؤثرونَ الـسلامةْ

بـــل عهِـــدناهُ في المواقـــفِ مِقْـــدا ... مـاً عـلى الـدرْبِ لا يهـابُ ملامـةْ

وإذا الجمـــعُ ضـــمَّ نخبـــةَ فكـــرٍ ... ورأَى الـرأيَ قـد عـلا واحتدامَـهْ

هـبَّ يلقـي الحـديثَ عـذْباً بليغـاً ... آخِـذاً قبـلَ كـلِّ فـردٍ زمَامـهْ

وتجـــلّى بطلعـــةٍ تـــتجلَّى ... بتقاسِـــيمها صـــفاتُ الزعامَـــةْ

عـاشَ مـا عـاشَ للـبلادِ وأعطَـا ... هَـــا هـــواهُ وحبَّـــه وهُيامَـــهْ

هـيَ حـسناؤُه الوحيـدةُ لا ليـــ ... ـــلَى ولا بنـــتَ عمِّهـا سـلاّمةْ

في هواها ضحّى ومـن أجلِهـا استبـ ... ـدلَ عـيشَ العَنـا بطيـبِ الإقامـةْ

ومـضَى في المنفَـى يـروحُ ويغْـدو ... ويقـــاسي في غبطـــةٍ آلامَـــهْ

زادُه خدمـــةُ القـــضيةِ والإيـــما ... نُ بـــالله والحقـــوقُ المرامَـــةْ

كـــان لا يـــستقرُّ في بلـــدٍ إلا ... وقـدْ خـطَّ في سِـواها مُقامَـهْ

داعيـاً عارضـاً حكايـةَ شـعْبٍ ... نـصَب الظلـمُ في رُبـاه خِيامَـهْ

وجثَـا فـوق صَـدرِه أجنبـيٌّ ... عـاقَ إنهاضَـهُ وغـذّى انقـسَامهْ

فتـــصدّى فقيـــدُنا وطنيـــاً ... رافـعَ الـصوتِ نـاشراً أعلامَـهْ

وتـــساعَى إلى نـــداهُ ولبّـــا ... هُ رجـــالٌ يقـــدِّرون مهامَـــهْ

وغـدتْ في الجنـوبِ رابطـةٌ صَـا ... غـــتْ لأُولَى نِـــضاله أنغامَـــهْ

* * *

فهـرس المحتـويـات

الموضوع	الصفحة
تمهيد	٥
من فيض الذكريات المكية	٩
أنا ورفيق العمر	١٥
حياة الشاعر	١٩
رثاء الشاعر	٢٥
كلمة عن الشعر العربي	٢٧
ورقة إلى القارئ	٣٧
المديح النبوي	٣٩
في رحاب رسول الله	٤١
أمام الحجرة الشريفة	٤٣
من وحي ذكرى المولد الشريف	٤٥
شد الرحال	٤٨
تحية المولد النبوي	٥٠
حبيبي رسول الله	٥٢
اليوم يوم المصطفى ﷺ	٥٤
في مولد رسول الإنسانية ﷺ	٥٦
تحية المولد النبوي الشريف	٥٨

الموضوع	الصفحة

روحانيات ٦١
في جبل عرفات ٦٣
ختم صحيح البخاري ٦٥
في فناء البيت العتيق ٦٧
حضرة البار ٦٩
وطنيات ٧١
منطق الغاب ٧٣
تحية الرائد ٧٤
صحافة حضرموت ٧٦
يا حضرموت ٧٨
فيتو! ٨٠
الحضارم ٨٢
دفاعا عن الإسلام والعروبة ٨٥
نشيد ٨٧
تحيةٌ ٨٨
الجزائر ٩٠
يوم العروبة ٩٣
لا كنت من أمة تحيى بلا غضب! ٩٥
حريق المسجد الأقصى ٩٨
لبنان! ٩٩
ألا هيَّا إلى القمة!! ١٠١
سنخوضها! ١٠٤
زلزال اليمن ١٠٦

الموضوع	الصفحة
اجتماعيات	١٠٩
تهنئةٌ	١١١
شاعر الثقلين	١١٣
لحية أبي حاتم	١١٥
تهنئةٌ	١١٦
بين الخبر والعيان	١١٧
إلى الصديق باريان	١١٨
وارث السر	١١٩
زين المحافل	١٢١
في مهرجان الشاطري	١٢٣
سلوى	١٢٥
إلى البيض	١٢٦
تحية لابن لادن	١٢٨
من لندن	١٣٠
طوفان دوعن	١٣٢
من وحي أسمرة	١٣٤
مجلة الجنوب العربي	١٣٦
تهنئة من القلب	١٣٧
أنت في الفضل وحيد	١٣٩
بعدك بعد	١٤١
أبا طارق!	١٤٣
إنه الكسل	١٤٥

الموضوع	الصفحة
تهنئةٌ	١٤٧
كيف تسيء الظن!	١٤٩
أوال	١٥٠
يا عازفاً	١٥٢
ماذا أردت بنشر شعرك؟	١٥٣
إلى معجب	١٥٥
ما للكهانة	١٥٧
سلامات	١٥٩
لم تفد صحبة	١٦١
أقبلت	١٦٢
ويلي منك يا غيثان	١٦٦
غزليات	١٦٩
ناعسة الطرف	١٧١
أمير الهوى	١٧٢
دعها تثور	١٧٣
رجع الأمنية	١٧٥
إلى جيرة المنحنى	١٧٧
شعري	١٧٨
إيطالية	١٨٠
لا تلمني	١٨١
متفرقات	١٨٣
القمر الروسي	١٨٥

الموضوع	الصفحة
أيها القمر!	١٨٧
وجه الحقيقة	١٨٩
موتوا بغيظكم	١٩١
الخليج العربي	١٩٢
مراثي	١٩٣
رثاء والدة الشاعر	١٩٥
جدي	١٩٧
فقيد حضرموت	١٩٩
فقيد الفضائل	٢٠١
فقيد الشعب	٢٠٣
إلى عنبر	٢٠٦
معلم الجيل	٢٠٨
فقيد المنابر	٢١٠
رثاء الجفري	٢١٢
فهرس المحتويات	٢١٥

الشاعر في سطور

هو الشاعر الحر الأديب السيد أحمد بن علي بافقيه، العلوي الحسيني. مولده في وادي دوعن بحضرموت، في بلدة (القرين) سنة ١٣٤٣هـ.

طلب العلم على شيوخ بلده، وأكثر شيوخه تأثيراً فيه السيدُ العلامة طاهر بن علوي الحداد، وكذلك أستاذه السيد حسين بن محمد البار.

عاش مغترباً في أرض الحبشة سنين طويلة، وتردد إلى وطنه خلال ذلك مراتٍ كثيرة، ثم كانت هجرته الأخيرة إلى السعودية حوالي عام ١٣٧٢هـ، وبقي في أجوائها متنقلاً في الوظائف إلى أن وافاه أجله بين أولاده في مدينة جدة سنة ١٤٠٨هـ، رحمه الله تعالى.

ليس له من الآثار الأدبية سوى شعره الذي جُمع بين دفتي هذا الكتاب، وهو شعر عربي فصيح رصين، فيه الكثير من الحيوية، مع متانة الأسلوب، وقوة العارضة، ندع القارئ ليمخُرَ عُباب هذا الديوان ويتذوّقَ معانيه، ويتلَمّسَ أحاسيسَ ناظمه.

دار الفتح للدراسات والنشر
www.alfathonline.com

تلفاكس ٤٦١٩٩٤٦ (٠٠٩٦٢٦)
ص.ب ١٨٣٤٧٩ عمّان ١١١١٨ الأردن
info@alfathonline.com